بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ مَرْيَمَ

مَكِّيَّةٌ [إِلاَّ آيَتَيْ ٥٨ و٧١ فَمَدَنِيَّتَانِ]
وَآيَاتُهَا ٩٨ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَاطِرٍ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾: قرأ بفتح الهاء[1] وكسر الياء: حمزة، وبكسرهما: عاصم، وبضمهما: الحسن، وقرأ الحسن ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: هذا المتلوّ من القرآن ذكر رحمة ربك، وقرئ: «ذكر»: على الأمر[2]، راعى سنة الله في إخفاء دعوته؛ لأنّ الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص، وعن الحسن: نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة[3]، أو أسره من مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات، وسمعه تارات، واختلف في سنّ زكريا ـ عليه السلام ـ فقيل: ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾

قرئ (وهن): بالحركات الثلاث؛ وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو

---

(١) قوله «كهيعص قرأ بفتح الهاء» عبارة النسفي. قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر، وإلى الفتح أقرب. وأبو عمرو بكسر الهاء. وفتح الياء. وحمزة بعكسه. وغيرهم بفتحهما (ع).

(٢) قوله «وقرأ الحسن (ذكر رحمة ربك) أي هذا إلخ» يحتاج إلى تحرير، فإن الرفع قراءة الجمهور. وقوله «ذكر على الأمر» أي و(رحمة ربك) بالنصب. (ع).

(٣) قوله «في إبان الكبرة والشيخوخة» في الصحاح: الكبر في السن، والاسم الكبرة بالفتح. وفيه أيضاً: شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك: جاء على أصله، وشيخوخة اهـ. وليس فيه شيوخة. وفيه أيضاً: إبان الشيء بالكسر والتشديد: وقته وأوانه. (ع).

أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته؛ ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها، إدغام السين في الشين عن أبي عمرو، شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا؛ فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة، توسل إلى الله بما سلف له من الاستجابة، وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا، فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

كان مواليه ـ وهم عصبته إخوته وبنو عمه ـ شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدّلوه، وألاّ يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقباً من صلبه صالحاً يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ﴿مِن وَرَآءِى﴾: بعد موتي، وقرأ ابن كثير: «من وراي»: بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت؛ لفساد المعنى، ولكن بمحذوف، أو بمعنى: الولاية في الموالي، أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي، وقرأ عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ: «خفت الموالي من ورائي»، وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون (ورائي) بمعنى: خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي، أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوليّ يرزقه.

والثاني: أن يكون بمعنى: قدامي، فيتعلق بـ «خفت»، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا، ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد، ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: تأكيد لكونه وليًّا مرضيًا، بكونه مضافاً إلى الله ـ تعالى ـ وصادراً من عنده، وإلا ـ فهب لي ولياً يرثني ـ: كاف، أو أراد اختراعاً منك بلا سبب؛ لأني وامرأتي لا نصلح للولادة، ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ﴾: الجزم جواب الدعاء، والرفع صفة؛ ونحوه: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤] وعن ابن عباس والجحدري: «يرثني وارث آل يعقوب»: نصب على الحال، وعن الجحدري: «أُويرث»: على تصغير: وارث، وقال: غليم صغير، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ وجماعة: «وارث

من آل يعقوب﴾، أي: يرثني به وارث، ويسمى: التجريد في علم البيان، والمراد بالإرث: إرث الشرع والعلم؛ لأنّ الأنبياء لا تورّث المال، وقيل: يرثني الحبورة وكان حبراً، ويرث من آل يعقوب الملك، يقال: ورثته وورثت منه لغتان، وقيل: «من» للتبعيض لا للتعدية؛ لأنّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وكان زكريا ـ عليه السلام ـ من نسل يعقوب بن إسحاق، وقيل: هو يعقوب بن ماتان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾

﴿سَمِيًّا﴾: لم يسمّ أحد بيحيى قبله، وهذا شاهد على أنّ الأسامي السنع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية؛ لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز، حتى قال القائل في مدح قوم [من الكامل]:

سُنْعُ الأَسَامِي مُسْبِلِي أُزُرٍ   حُمْرٍ تَمَسُّ الأَرْضَ بِالْهُدْبِ / ٢/ ٢أ[1]

وقال رؤبة للنسابة البكري ـ وقد سأله عن نسبه ـ: أنا ابن العجاج، فقال: قصرت وعرفت، وقيل: مثلاً وشبيها عن مجاهد؛ كقوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ وإنما قيل للمثل: «سَميّ»؛ لأنّ كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير، فكل واحد منهما سميّ لصاحبه؛ ونحو: «يحيى» في أسمائهم: «يعمر، ويعيش» إن كانت التسمية عربية، وقد سموا بيموت ـ أيضاً ـ وهو يموت بن المزرع، قالوا: لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط، وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر، وأنه كان حصوراً.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾

أي: كانت على صفة العقر: حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين، أفحين اختل السببان جميعاً أُرزقه؟

---

(١) يقال سنع الرجل كظرف، فهو سنيع أي جميل، وأسنع، والمرأة سنعاء، وسنع جمع أسنع: أي أسماؤهم حسنة، فهي أنبه وأنوه وأنزه عن النبز، والحمر: صفة الأزر، وتمس: صفة أخرى لها. وهدب الشيء: طرفه، والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع، ويمكن أن يكون ضمنه مفرداً كقفل، وجمعا كفلك. ويجوز أنه اسم جمع، ولذلك جاء في واحده هدبة، ومس الأرض بالأطراف: كناية عن طولها، بل عن غناهم وثروتهم اللازم له ذلك.

فإن قلت: لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتيّ والعقر[1]، فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب؟

قلت: ليجاب بما أجيب به، فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخراً كان على منهاج واحد: في أنّ الله غني عن الأسباب، أي: بلغت عتياً، وهو: اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل[2]، يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية، أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيًا، وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين، وكذلك صليًا، وابن مسعود بفتحهما[3]، وقرأ أبيّ ومجاهد: «عسيا»[4].

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أو نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦] وقرأ الحسن: «وهو علي هين»، ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول، أي: الأمر كما قلت، وهو على ذلك يهون علي. ووجه آخر: وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله، لا إلى قول زكريا، و«قال»: محذوف في كلتا القراءتين، أي: قال هو عليّ هين، قال وهو عليّ هين؛ وإن شئت لم تنوه؛ لأن الله هو المخاطب، والمعنى: أنه قال ذلك ووعده، وقوله الحق: ﴿شَيْـًٔا﴾؛ لأن المعدوم ليس بشيء، أو شيئاً يعتد به[5]؛ كقولهم: عجبت: من لا شيء، وقوله [من البسيط]:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي... إلخ» قال أحمد: وفيما أجاب به نظر؛ لأنه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه، ولا يجوز للنبي النطق بما لا يسوغ، لمثل هذه الفائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه، فالظاهر في الجواب ـ والله أعلم ـ أن طلبة زكريا إنما كانت ولدا من حيث الجملة، وبحسب ذلك أجيب، وليس في الإجابة ما يدل على أنه يولد له وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة، واحتمل أن تعاد لهما قوتهما وشبابهما، كما فعل الله ذلك لغيرهما. أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر، فاستبعد الولد منهما وهما بحالهما، فاستخبر أيكون وهما كذلك، فقيل: كذلك، أي: يكون الولد وأنتما كذلك، فقد انصرف الأبعاد إلى عين الموعود فزال الإشكال. والله أعلم.

(٢) قوله «كالعود القاحل» أي اليابس، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله «بفتحهما» لعله بفتحها. (ع)

(٤) قوله «عسياً» في الصحاح: عسى الشيخ يعسو عسياً: ولى وكبر، مثل عتا. (ع)

(٥) قال محمود: «إنما قيل ذلك لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به... إلخ» قال أحمد: قسر أولاً على ظاهر النفي الصرف وهو الحق، لأن المعدوم ليس شيئاً قطعاً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: =

. . . . . إِذَا رَأَىٰ غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلا[1]

وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب: «خلقناك».

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾

أي: اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به، قال: علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه، وأنت سليم الجوارح سويّ الخلق، ما بك خرس ولا بكم، دل ذكر الليالي هنا، والأيام في آل عمران، على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

أوحى: أشار عن مجاهد؛ ويشهد له: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وعن ابن عباس: كتب لهم على الأرض، ﴿سَبِّحُوا۟﴾: صلوا، أو على الظاهر، وأن: هي المفسرة.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

أي: خذ التوراة بحد واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة؛ ومنه [من البسيط]:

= إن المعدوم الممكن شيء. ومن ثم كافح الزمخشري عن البقاء على التفسير الأول إلى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة. فجعل المنفي الشيئية المعتد بها، وإن كانت الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم، والحق بقاء الظاهر في نصابه.

(١) وضاقت الأرض حتى كان هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يقول: وضاقت الأرض على أعدائنا؛ لأن كل مسلك يريدونه يظنون أحداً منا فيه فيرجعون، فاستعير الضيق الحسي لذلك على طريق التصريح، حتى كان الهارب منهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً منا، فيرجع خوفاً، والشيء هو الموجود وغيره هو المعدوم، ولكن استعير للشيء الحقير التافه لعدم الاعتداد بكل على طريق التصريح، وذلك ليصح وقوع الرؤية عليه.

(٢) واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما وجدت ... ستًا وستين لم تنقص ولم تزد

للنابغة واسمه زياد، يخاطب النعمان بن المنذر، والفتاة: زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر، نظرت إلى حمام مسرع إلى الماء فقالت: ليت الحمام ليه. إلى حمامتيه. ونصفه قديه. ثم الحمام ميه. فوقع في شبكة صياد، فوجدوه ستاً وستين حمامة، ونصفه ثلاثة وثلاثون، فإذا ضم الكل إلى حمامتها صار مائة، والحمام: كل ذي طوق من الطيور. وسراع: جمع سريع، وصفه به؛ لأنه جمع في المعنى، وبوارد لأنه مفرد في اللفظ: ويروى «شراع» بالشين المشالة جمع شارع. والثمد: الماء القليل. وروي الحمام ونصفه بالرفع. على إهمال ليتما. وبالنصب على إعمالها؛ لأن «ما» زائدة لا كافة، وإلا وجب الإهمال. وروي «أو نصفه» فـ «أو» بمعنى الواو، =

وَأَحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ...[1] . . . .

يقال: حكم حكماً كحلم، وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس، وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي، فقال: ما للعب خلقنا، عن الضحاك، وعن معمر: العقل، وقيل: النبوّة؛ لأنّ الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطفاً وشفقة؛ أنشد سيبويه [من الطويل]:

وَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هٰهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالحَيِّ عَارِفُ[2]؟

= والكلام على تقدير مضاف؛ لأنها تمنت أن يكون هذا الحمام ومقدار نصفه لها. وإلى حمامتنا: متعلق بمحذوف، أي: منضما إليها. وقد: اسم بمعنى حسب، أضيفت إلى ياء المتكلم بغير نون الوقاية، كما يقال: حسبي: ويحتمل أن الياء حرف إطلاق، فلا إضافة ولكنها متعينة في كلام زرقاء، والهاء فيه للسكت، وهو يرجح الإضافة في كلام النابغة، والفاء فيه زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط، وكلاهما بمعنى انته، وكأنها فاء الجواب، أي: إذا بلغت هذا الحد فانته كما أفاده السعد في مطوله، وحسبوه ينبغي تشديده ليسلم الشعر من الخبل، وهو نوع من الزحاف يقبح دخوله هنا. ويروى «حسبوه» بتقديم السين على الباء.

ينظر: ديوانه ٢٣/ الكتاب ١/ ١٦٨، شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٣، الحيوان ٣/ ٢٢١، الدرر ١/ ٢١٧، ٢/ ٢٠٦، لسان العرب (حكم)، (حمم)، أدب الكاتب ٢٥، شرح التصريح ١/ ٢٢٥، البحر المحيط ٤/ ٣٣٠، الدر المصون ٣/ ٢٩٢.

(١) وأحدث عهد من أمينة نظرة على جانب العلياء إذ أنا واقف
فقالت حنان: ما أتى بك هاهنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف؟

لمنذر بن درهم الكلبي، يقول: وأقرب عهد: أي لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير آمنة، هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة، إذ أنا واقف هناك: أي حين وقوفي بها. وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها، فلما رأته هي قالت له: حنان أي: أمري حنان ورحمة لك، وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ؛ لنيابة الخبر عن الفعل؛ لأنه مصدر محول عن النصب. وقولها «ما أتى بك هاهنا» استفهام تعجبي. أذو نسب: أي أأنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي؟ ويجوز أن «أذو نسب» بدل من ما الاستفهامية: أي الذي حملك على المجيء هنا أو الذي دلك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به؟ ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها. لتلقنه الجواب بقولها: أذو نسب... إلخ، مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها، ربما يسأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين.

ينظر البيت في خزانة الأدب ٢/ ١١٢؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٣٥، وبلا نسبة في أمالي الزجاجي ص١٣١، وأوضح المسالك ١/ ٢١٧، والدرر اللوامع ٣/ ٦٦، وشرح الأشموني ١/ ١٠٦، وشرح التصريح ١/ ١٧٧، وشرح عمدة الحافظ ص١٩٠، وشرح المفصل ١/ ١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥٥، والكتاب ١/ ٣٢٠، ٣٤٩، ولسان العرب (حنن)، والمقاصد النحوية ١/ ٥٣٩، والمقتضب ٣/ ٢٢٥، وهمع الهوامع ١/ ١٨٩.

وقيل: حنانا من الله عليه، وحنّ في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة، وقيل لله «حنان»، كما قيل: «رحيم» على سبيل الاستعارة، والزكاة: الطهارة، وقيل: الصدقة أي: يتعطف على الناس ويتصدّق عليهم.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

سلم الله عليه في هذه الأحوال، قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿مَرْيَمَ﴾: بدل الاشتمال؛ لأنّ الأحيان مشتملة على ما فيها، وفي أنّ المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيه، والانتباذ: الاعتزال والانفراد، تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس، وقيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها، وكان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحوّلت إلى بيت خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي في مغتسلها، أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سويّ الخلق، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً، أو حسن الصورة مستوي الخلق؛ وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ٢/ ٢ب ولو بدا لها في الصورة الملكية، لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه، ودلّ على عفافها وورعها أنها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها، وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا، ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها، فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك، وقيل: قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وقيل: إنّ النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكاناً شرقيًا، الروح: جبريل؛ لأنّ الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه الله روحه: على المجاز؛ محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك: أنت روحي، وقرأ أبو حيوة: «روحنا»: بالفتح؛ لأنه سبب لما في رَوح العباد، وإصابة الرَّوح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] أو؛ لأنه من المقرّبين، وهم: الموعودون بالروح، أي: مقرّبنا وذا روحنا.

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾

أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به، فإني عائذة به منك؛ كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٦].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾

أي: إنما أنا رسول من استعذت به، ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع[1]، وفي بعض المصاحف: إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك، أو هي حكاية لقول الله تعالى.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال؛ لأنه كناية عنه؛ كقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، والزنا ليس كذلك؛ إنما يقال فيه: فَجَرَ بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب، والبغيّ: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرد «بغوي»، فأدغمت الواو في الياء، وقال ابن جني في كتاب التمام: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل: «بغوّ»، كما قيل: فلان نهوّ عن المنكر، ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾: تعليل معلله محذوف، أي: ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر، أي: لنبين به قدرتنا ولنجعله آية؛ ونحوه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ [يوسف: ٥٦]، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: مقدّراً مسطوراً في اللوح لا بدّ لك من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بأن يكون ويقضى؛ لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله، وبالرحمة: الشرائع والألطاف، وما كان سبباً في قوّة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

عن ابن عباس: فاطمأنت إلى قوله، فدنا منها، فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت، وقيل: كانت مدّة الحمل ستة أشهر، وعن عطاء وأبي العالية والضحاك: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت

---

(١) قوله «في الدرع» في الصحاح «درع المرأة قميصها». (ع)

الشمس من يومها، وعن ابن عباس: كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبذته، وقيل: حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وقيل: بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل، وقالوا: ما من مولود إلا يستهلّ غيره[1]، ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها؛ كقوله [من الوافر]:

. . . . . تَـدُوسُ بِـنَـا الْـجَـمَـاجِـمَ وَالـتَّـرِيـبَـا[2]

أي: تدوس الجماجم ونحن على ظهورها؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، أي: تنبت ودهنها فيها: الجار والمجرور في موضع الحال، ﴿قَصِيًّا﴾: بعيداً من أهلها وراء الجبل، وقيل: أقصى الدار، وقيل: كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما قيل: حملت من الزنا، خاف عليها قتل الملك، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدّثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبريل فقال: إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَأَجَآءَهَا﴾: أجاء: منقول من جاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى: الإلجاء، ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد، كما تقول: بلغته وأبلغنيه؛ ونظيره: «آتى»؛ حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان، قرأ ابن كثير في رواية: ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: بالكسر، يقال: مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً، وهو تمخض الولد في بطنها[3].

طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو: إمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل: جذع ٢/ ٣أ النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل، وإمّا أن يكون تعريف الجنس، أي: جذع هذه الشجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو حرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد، وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها، قرئ: ﴿مت﴾: بالضم والكسر، يقال: مات يموت،

---

(١) قوله «ما من مولود إلا يستهل غيره» في الصحاح «استهل الصبي» أي صاح عند الولادة. (ع)

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ٥٠ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ .

(٣) قوله «وهو تمخض الولد في بطنها» في الصحاح «تمخض اللبن واستمخض» أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل. (ع)

ومات يمات، النسيّ: ما من حقه أن يطرح وينسى، كخرقة الطامث ونحوها، كالذبح: اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧]، وعن يونس: العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم، أي: الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ[1]، تمنت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له، من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسى وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه؛ وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوّر[2] من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله، أو لشدّة التكليف عليها إذا بهتوها[3]، وهي عارفة ببراءة الساحة وبضدّ ما قرفت به، من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام: أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً يعاب به ويعنف بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها، وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص: (نسياً): بالفتح، قال الفراء: هما لغتان كالوتر والوتر، والجسر والجسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل، وقرأ محمد بن كعب القرظي: (نسأ): بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء، ينسؤه أهله لقلته ونزارته، وقرأ الأعمش: (منسيا): بالكسر على الاتباع، كالمغيرة والمنخر.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿مِن تَحْتِهَآ﴾: هو جبريل ـ عليه السلام ـ قيل: كان يقبل الولد كالمقابلة، وقيل: هو عيسى، وهي قراءة عاصم وأبي عمرو، وقيل: (تحتها): أسفل من مكانها؛ كقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [طه: ٧٦]وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة، فصاح بها: ﴿وَلَا تَحْزَنِى﴾، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: (من تحتها)، وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى، وعن قتادة: الضمير في تحتها للنخلة، وقرأ زرّ وعلقمة: «فخاطبها من تحتها».

سئل النبي ـ ﷺ ـ عن السري، فقال: «هُوَ الْجَدْوَلُ» (٩١٨)؛ قال لبيد [من الكامل]:

---

٩١٨ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص ١٤٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٩٨) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي عن أبي سنان سعيد بن سنان الشيباني عن أبي إسحاق عن البراء بن =

---

(١) قوله «والشظاظ» في الصحاح «الشظاظ» العود الذي يدخل في عروة الجوالق. وفيه «الجوالق» وعاء. (ع)

(٢) قوله «من فرط الحيا، والتشور من الناس» خوف إظهار العورة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «إذا بهتوها وهي عارفة... إلخ» اتهموها بما ليس فيها. وقرفت: اتهمت. (ع)

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَنْسُجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاَّمُهَا[1]

= عازب مرفوعا.

وقال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان.
وأعله ابن عدي بمعاوية بن يحيى الصدفي، ونقل تضعيفه عن النسائي، وابن المديني، وابن معين.
وقد خالف شعبة أبا سنان في هذا الحديث فرواه عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً.
أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وعلقه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤٧) فقال: وقال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً.
وأخرجه ابن مردويه والطبري من طريق إسرائيل به موقوفاً.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٦ ـ ٧) من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب موقوفاً.
وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٤٦) رقم (١٣٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٤٦)؛ كلاهما من طريق يحيى بن عبد الله البابلي ثنا أيوب بن نهيك عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: إن السري الذي قال الله عز وجل ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهر أخرجه الله لتشرب منه.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث عكرمة لم يروه عنه إلا أيوب بن نهيك ولا عنه فيما أعلم إلا يحيى اهـ وقال الزيلعي في تخريج «الكشاف» (٢/ ٣٢٢): وهو حديث غريب وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي. قال أبو حاتم: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث اهـ والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٨)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه يحيى بن عبد الله البابلي وهو ضعيف.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الصغير، وابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحاق عن البراء عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، قال: السري النهر. قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف، وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحاق عن البراء. موقوفاً، وكذا ذكره البخاري تعليقاً عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق. ورواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلك. وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحاق موقوفاً، وفي الباب عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن السري الذي قال الله تعالى لمريم: نهر أخرجه الله لتشرب منه، أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر. ورواية عن أيوب بن نهيك. ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة. انتهى.

---

(١) فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت أقدامها
فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاوراً قلامها
للبيد من معلقته، يصف حماراً وحشياً بأنه مضى خلف أتانة نحو الماء وقدمها أمامه. وأقدامها: اسم كان، وألحقه التاء لاكتساب الأقدام التأنيث من الضمير المضاف إليه. وقيل: لأنه بمعنى =

وقيل: هو من السرو[1]، والمراد: عيسى، وعن الحسن: كان والله عبداً سريًّا.

فإن قلت: ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب؟

قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب؛ ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أنّ ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

﴿تُسَٰقِطْ﴾: فيه تسع قراءات: تساقط: بإدغام التاء، وتتساقط: بإظهار التاءين، وتساقط: بطرح الثانية، ويساقط: بالياء وإدغام التاء، وتساقط، وتسقط، ويسقط، وتسقط، ويسقط: التاء للنخلة، والياء للجذع، ورطباً: تمييز، أو مفعول على حسب القراءة، وعن المبرد: جواز انتصابه بهزيّ وليس بذاك، والباء في: (بجذع النخلة): صلة للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أو: على معنى: افعلي الهزّ به؛ كقوله[من الطويل]: يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي[2]

قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العجوة، وقيل: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب، عن طلحة بن سليمان: (جنيا): بكسر الجيم للإتباع، أي: جمعنا لك في السريّ والرطب فائدتين، إحداهما: الأكل والشرب، والثانية: سلوة الصدر؛ لكونهما معجزتين، وهو معنى قوله ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ أي: وطيبي

= التقدمة التي هي مصدر قدمها المضاعف كالتقديم. وعادة خبر كان و«إذا هي عردت» بالتضعيف أي: تأخرت وجبنت، «فتوسطا» أي: الحمار والأتان، «عرض السرى» أي: ناحية النهر الصغير وجانبه، «فصدعا» أي: شقّا عيناً مسجورة مملوءة، وكان المقام للإضمار، فأظهر ليتأتى الوصف. أو للتجربة، أو العين من النهر، وليست هي هو وهذا أوجه. والقلام ـ كرمان ـ: القاقلي، وقيل مطلق النبات، وتجاوزه: كناية عن كثرته.

ينظر البيت في ديوانه ص ٣٠٧، ولسان العرب (سجر)، (عرض)، (صدع)، (قلم)، وتهذيب اللغة ٩/ ١٨١، وجمهرة اللغة ص ٧٤٧، ٩٧٤، وتاج العروس (عرض)، (صدع)، وكتاب العين ١/ ٢٧٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٥، ومجمل اللغة ٣/ ٤٧٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٥٧.

(١) قوله «وقيل هو من «السرو» في الصحاح «السرو» سخاء في مروءة. (ع)

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد.

نفساً ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك، وقرئ: (وقرّي) بالكسر لغة نجد، (فإمّا ترئن): بالهمز: ابن الرومي، عن أبي عمرو: وهذا من لغة من يقول: لبأت بالحج، وحلأت السويق[1]، وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال، ﴿صَوْمًا﴾: صمتاً، وفي مصحف عبد الله: «صمتاً»، وعن أنس بن مالك مثله، وقيل: «صياماً»، إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن صوم الصمت(٩١٩)؛ لأنه نسخ في أمته، أمرها الله بأن تنذر الصوم؛ لئلا تشرع مع البشر المنهمين ٢/ ٣ب لها في الكلام لمعنيين:

أحدهما: أن عيسى ـ صلوات الله عليه ـ يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومثاقلتهم، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس: سفيه لم يجد مسافها، قيل: أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة، وقيل: سوغ لها ذلك بالنطق، ﴿إِنسِيًّا﴾ أي: أكلم الملائكة دون الإنس.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

الفريّ: البديع، وهو من فرى الجلد، ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾: كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل، وقيل: هو أخو موسى ـ صلوات الله عليهما ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ: «إِنَّمَا عَنُوا هَارُونَ النَّبِيَّ» (٩٢٠)، وكانت من أعقابه في طبقة الإخوة، بينها وبينه ألف سنة وأكثر،

---

٩١٩ ـ ورد من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً بلفظ «لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى ليل».
وقد تقدم تخريجه في سورة النساء.
ويراجع شواهده هناك.
قال الحافظ: لم أره هكذا، وأخرج عبد الرزاق من حديث جابر بلفظ: «لا صمت يوم إلى الليل»، وفيه حزام بن عثمان وهو ضعيف، ولأبي داود من حديث علي مثله. وقد تقدم في تفسير النساء. انتهى.

٩٢٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٢٣): غريب وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.
قال الحافظ: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي. وقوله ليس بصحيح؛ فإن عند مسلم والنسائي والترمذي عن المغيرة بن شعبة. قال: «بعثني النبي ـ ﷺ ـ إلى نجران، فقالوا لي: أرأيتم شيئا يقرأونه: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أدر ما أجيبهم فقال لي النبي ـ ﷺ ـ: «هلا أخبرتهم أنهم كان يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين من قبلهم، وروى الطبري من طريق ابن سيرين، «نبئت أن كعباً قال: إن قوله تعالى: =

---

(١) قوله «يقول لبأت بالحج وحلأت السويق» والكثير: لبيت بالحج، وحليت السويق، أي: جعلته حلوا. (ع)

وعن السدي: كانت من أولاده؛ وإنما قيل: يا أخت هَارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها، شبهوها به، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به، ولم ترد إخوة النسب، ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً، كلهم يسمى هارون؛ تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهارون هذا، وقرأ عمر بن لجاء التيمي: (ما كان أباك امرؤ سوء)، وقيل: احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار، فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفاسها[1]، ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق، فقال: يا أماه، أبشري؛ فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك، وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى ـ عليه السلام ـ فتركوها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا ـ عليه السلام ـ وعن السدي: لما أشارت إليه، غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا أشدّ علينا من زناها، وروي أنه كان يرضع، فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلمهم بذلك، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان، و﴿كَانَ﴾: لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو ههنا لقريبه خاصة، والدال عليه مبنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر: أن يكون (نكلم): حكاية حال ماضية، أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

أنطقه الله أوّلاً بأنه عبد الله ردًّا لقول النصارى، و«الكتاب»: هو الإنجيل، واختلفوا في نبوّته، فقيل: أعطيها في طفوليته: أكمل الله عقله، واستنبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية،

= ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: «كذبت. فقال لها: يا أم المؤمنين إن كان النبي ـ ﷺ ـ قال: فهو أعلم، وإلا فأنا أجد بينهما ستمائة سنة». انتهى.

(١) قوله «حتى تعلت من نفاسها» في الصحاح «تعلى» أي علا في مهلة. وتعلت المرأة من نفاسها: أي سلمت، وتعلى الرجل من علته. (ع)

وقيل: معناه: إن ذلك سبق في قضائه، او جعل الاتي لا محالة كأنه قد وجد، ﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «نَفَاعاً حَيْثُ كُنْتَ» (٩٢١)، وقيل: معلماً للخير، وقرئ: ﴿وَبَرًّا﴾: عن أبي نهيك، جعل ذاته براً لفرط بره، أو نصبه بفعل في معنى أوصاني، وهو كلفني؛ لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله؛ كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ، والصحيح: أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم ـ عليها السلام ـ وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضدّه عليكم؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [طه:٤٧] يعني: أنّ العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التعريض.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قرأ عاصم وابن عامر: (قول الحق) بالنصب، وعن ابن مسعود: قال الحق، وقال الله، وعن الحسن: «قُول الحق» بضم القاف، وكذلك في الأنعام: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] والقول والقال والقول بمعنى واحد، كالرهب والرهب والرهب، وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر، أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق؛ كقوله: هو عبد الله حقًا، والحق لا الباطل؛ وإنما قيل لعيسى: «كلمة الله»، و: «قول الحق»؛ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: (كن) من غير واسطة أب؛ تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمى العشب بالسماء، والشحم بالندا، ويحتمل إذا أريد بقول الحق: عيسى، أن يكون الحق اسم الله ـ عزّ وجل ـ، وأن يكون بمعنى: الثبات والصدق؛ ويعضده قوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: أمره حق يقين وهم فيه شاكون، ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكون، والمرية: الشك، أو يتمارون ٢/ ٤أ: يتلاحون[1]، قالت اليهود: ساحر كذاب،

---

٩٢١ ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥) من طريق شعيب بن محمد الكوفي ثنا هشيم بن بشير عن يونس عن الحسن عن أبي هريرة به.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث يونس تفرد به هشيم وعنه شعيب.
وأخرجه أيضاً ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٤)، قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة بهذا وأتم منه. وقال تفرد به هشيم عن يونس، وعنه شعيب بن محمد الكوفي، ورواه ابن مردويه من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله «يتلاحون» التلاحي بمعنى التنازع كما في الصحاح. وعبارة النسفي: أو يختلفون، من المراء، =

وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة، وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «تمترون». على الخطاب، وعن أبيّ بن كعب: «قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون».

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه، وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه؛ إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن، كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد، والقول ههنا مجاز، ومعناه: أنّ إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن، ومعناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، والأستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء، وفي حرف أبيّ: «إن الله»: بالكسر بغير واو، و«بأن الله»، أي: بسبب ذلك[1] فاعبدوه.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿الْأَحْزَابُ﴾: اليهود والنصارى: عن الكلبي، وقيل: النصارى، لتحزبهم ثلاث فرق: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية، وعن الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس، ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال، أو من مكان الشهادة أو وقتها، وقيل: هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

= فقالت اليهود... إلخ. (ع)

(١) قوله: «وبأن الله أي بسبب ذلك» لعله: أي بأن الله. ويمكن أنه عطف على أن الله، ويكون في حرف أبي القراءتان. (ع)

لا يوصف الله تعالى بالتعجب، وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذٍ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صمًّا وعميًا في الدنيا، وقيل: معناه: التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم، أوقع الظاهر، أعني: الظالمين موقع الضمير، إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم؛ حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد بالضلال المبين: إغفال النظر والاستماع، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار، وعن النبي ﷺ أنه سئل عنه، أي: عن قضاء الأمر، فقال: «حِينَ يُذْبَحُ الكَبْشُ وَالفَرِيقَانِ يَنْظُرَانِ» (٩٢٢)، وإذ: بدل من يوم الحسرة، أو منصوب بالحسرة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: متعلق بقوله: «في ضلال مبين»: عن الحسن،

---

٩٢٢ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٥): غريب بهذا اللفظ.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا. اهـ

وقد ورد حديث آخر في معناه عن عدد من الصحابة، وهم أبو سعيد الخدري وابن عمر وأبو هريرة وأنس.

حديث أبي سعيد:

أخرجه البخاري (٩/ ٣٥٤) كتاب التفسير: باب: (وأنذرهم يوم الحسرة) حديث (٤٧٣٠)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ـ ٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون حديث (٤٠، ٤١/ ٢٨٤٩)، والترمذي (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم حديث (٣١٥٦)، والنسائي في «تفسيره» (١٣٣٣)، وأحمد (٣/ ٩)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦٤) رقم (١١٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٠) رقم (٣٨٧)؛ كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار...» الحديث.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

حديث ابن عمر:

أخرجه البخاري (١١/ ٤٢٣) كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار حديث (٦٥٤٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث (٤٣/ ٢٨٥٠)، وأحمد (٢/ ١١٨).

حديث أبي هريرة:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٧) كتاب الزهد باب صفة النار حديث (٤٣٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٦١)، وابن حبان (٢٦١٤ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٨٣)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قلت: محمد بن عمرو لم يحتج به مسلم، بل روى له متابعه، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه اهـ. والحديث ذكره المنذري في «الترغيب» (٤/ ٥٦٤)، وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد. =

وأنذرهم: اعتراض، أو هو متعلق بأنذرهم، أي: وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين، يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم، وأنه يفني أجسادهم ويفني الأرض ويذهب بها.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

الصدّيق: من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك والنطيق، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل، أي: كان مصدقاً بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيًا في نفسه؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٧] أو: كان بليغاً في الصدق؛ لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حريّ أن يكون كذلك، وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله، أعني: إبراهيم، و﴿إِذْ قَالَ﴾: نحو قولك: رأيت زيداً، ونعم الرجل أخوك، ويجوز أن يتعلق إذ بـ«كان» أو بـ«صديقاً نبيًا»، أي: كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء، حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم؛ كقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الشعراء: ٦٩]، وإلا فالله ـ عزّ وجل ـ هو ذاكره ومورده في تنزيله، التاء في ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: عوض من ياء الإضافة،

= وللحديث إسناد آخر.
أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٣٧) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
حديث أنس بن مالك:
أخرجه أبو يعلى (٥/ ٢٧٨) رقم (٢٨٩٨)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٨)، وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط بنحوه والبزار، ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.
قال الحافظ: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح» الحديث، وفيه: وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾ الآية، وأخرجاه عن ابن عمر نحوه دون قراءة الآية. وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن حبان والحاكم والنسائي. وأخرجه البخاري دون ذكر الذبح. وأخرجه أبو يعلى والبزار من حديث أنس. وفي آخره: «فيأمن هؤلاء، وينقطع رجاء هؤلاء». انتهى.

ولا يقال: يا أبتي؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه، وقيل: يا أبتا؛ لكون الألف بدلاً من الياء، وشبه ذلك سيبويه بأينق، وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة، انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي ٢/ ٤ب عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق[1]، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن؛ منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه ـ عز وعلا ـ. حدّث أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: إِنَّكَ خَلِيلِي، حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ ـ فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ: أُظِلُّهُ تَحْتَ عَرْشِي، وَأُسْكِنُهُ حَظِيرَةَ القُدْسِ، وَأُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِي» ٩٢٣ح، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئة طلب منبه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيه؛ لأن المعبود لو كان حيًّا مميزاً، سميعاً بصيراً، مقتدراً على الثواب والعقاب، نافعاً ضارًّا، إلا أنه بعض الخلق: لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولسجل عليه بالغيّ المبين والظلم العظيم، وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠] وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن

---

٩٢٣ ـ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٦١) رقم (٦٥٠٢) من طريق مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد المقبري إلا أبو أمية بن يعلى تفرد به مؤمل بن عبد الرحمن ولا يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا بهذا الإسناد اهـ.

وأعله ابن عدي بمؤمل بن عبد الرحمن، وقال: عامة حديثه غير محفوظ.

وضعفه أيضاً الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»، فقال: وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان.

وله طريق آخر عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٦) للزيلعي، من طريق عمر بن أبي عمر عن أبي هريرة مرفوعاً.

وقال الزيلعي: وهذا معضل.

قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عدي، والحكيم والترمذي في «النوادر» من حديث أبي هريرة، وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان. انتهى.

---

(١) قوله «في أحسن اتساق وساقه أرشق» في الصحاح: «الاتساق» الانتظام، وفيه أيضاً «رجل رشيق» أي: حسن القد لطيفه. (ع)

له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلى غيره ـ وتعالى علوًا كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره ـ لم يكن إلا ظلماً وعتوًا وغيًا وكفراً وجحوداً، وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور؟ فلا يسمع ـ يا عابده ـ ذكرك له وثناءك عليه، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكفيكها، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك؛ وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أُنجك من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه: بأن الشيطان ـ الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوّك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدوّ أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم ـ هو الذي ورّطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان، إلا أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذرّيته، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره[1] ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب؛ حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: «أخاف أن يمسك عذاب»، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب؛ وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى: المشهود له[2] بالفوز العظيم؛ حيث قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله، أكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؛ توسلاً إليه واستعطافاً، فـ(ما) في: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾، و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في: (لا يسمع ولا يبصر): منسي غير منوي؛ كقولك: ليس به استماع ولا إبصار، ﴿شَيْـًٔا﴾: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع المصدر، أي: شيئاً من الغناء، ويجوز أن يقدر نحوه

---

(١) قوله: «وبما يجره» لعله وما يجره، فيكون عطفاً على سوء العاقبة. (ع)

(٢) قوله: «وسماه الله تعالى المشهود له» لعله «مشهود له بأن رضوانه أكبر من الثواب» فليحرر. (ع)

مع الفعلين السابقين.

والثاني: أن يكون مفعولاً به من قولهم: أغن عني وجهك، ﴿إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: فيه تجدد العلم عنده.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل (يا أبت): بيا بنيّ، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؛ لأنه كان أهمّ عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: لأرمينك بلساني، يريد: الشتم والذمّ، ومنه (الرجيم): المرميّ باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو: لأطردنك رمياً بالحجارة، وأصل الرجم: الرمي بالرجام[1]، ﴿مَلِيًّا﴾: زماناً طويلاً من الملاوة، أو: مليًّا بالذهاب عني، والهجران قبل أن أنخنك بالضرب، حتى لا تقدر أن تبرح، يقال: فلان مليّ بكذا، : إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به.

فإن قلت: علام عطف (واهجرني) ٢/ ٥أ؟

قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه: (لأرجمنك) أي: فاحذرني واهجرني؛ لأن (لأرجمنك): تهديد وتقريع.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾: سلام توديع ومتاركة؛ كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه، ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له؛ ألا ترى أنه وعده الاستغفار.

فإن قلت: كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده[2] ذلك؟

---

(١) قوله «وأصل الرجم الرمي بالرجام» أي الحجارة الضخام؛ كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم استغفر لأبيه وهو كافر... الخ» قال أحمد: وهذه لمظ من الاعتزال، مستطيرة من شرر شر قاعدة التحسين والتقبيح. والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به، ثم لم يوف الزمخشري بها؛ فإنه جعل العقل يسوغ =

قلت: قالوا: أراد اشتراط التوبة عن الكفر، كما ترد الأوامر والنواحي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان، وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة، ويراد اشتراط الوضوء والنصاب، وقالوا: إنما استغفر له بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء: ٨٦]؛ لأنه وعده أن يؤمن؛ واستشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ولقائل أن يقول: إنّ الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع، فأمّا القضية العقلية فلا تأباه، فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع، بناء على قضية العقل؛ والذي يدل على صحته قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلو كان شرطاً للإيمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة، وأمّا: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فالواعد هو إبراهيم لا آزر، أي: ما قال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ إلا عن قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ وتشهد له قراءة حماد الراوية: وعدها أباه، والله أعلم، ﴿حَفِيًّا﴾ الحفيّ: البليغ في البر والإلطاف، حفى به وتحفى به، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾: أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام، المراد بالدعاء: العبادة؛ لأنه منها ومن وسائطها، ومنه قوله ﷺ «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» (٩٢٤)؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء، عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، مع التواضع لله بكلمة (عسى)، وما فيه من هضم النفس.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا

---

٩٢٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤، ٣٧٥) كتاب تفسير القرآن: باب «ومن سورة المؤمن» رقم (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) كتاب الدعاء: باب «فضل الدعاء» رقم (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، والطيالسي (١/ ٢٥٣) كتاب الأذكار والدعوات: باب «ما جاء في فضل الدعاء وآدابه» رقم (١٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) كتاب الدعاء، وابن حبان (٨/ ١٣٢) باب «ما جاء في فضل الدعاء» رقم (٢٣٩٦).

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة وجرير عن منصور عن ذر.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود وبقية أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث النعمان بن بشير. وأخرجه أحمد وإسحاق وابن أبي شعبة وأبو يعلى والبزار والطبراني وابن أبي حاتم والطبري من حديثه، وأخرجه ابن مردويه من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى.

= الاستغفار، وجعل الشرع مانعاً منه، ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة، كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الإلهيات، نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه، وأما ما يظهر العقل خلافه فلا.

﴿لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه، فعوّضه أولاداً مؤمنين أنبياء، ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: هي النبوّة عن الحسن، وعن الكلبي: المال والولد، وتكون عامّة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه، لسان الصدق: الثناء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية؛ قال [من البسيط]:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لاَ أُسَرُّ بِهَا . . . . . (١)

يريد الرسالة، ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، فصيره قدوة حتى ادّعاه أهل الأديان كلهم، وقال عز وجل: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، و﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وأعطى ذلك ذرّيته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾

المخلص ـ بالكسر ـ: الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وبالفتح: الذي أخلصه الله، الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبيّ: الذي ينبئ عن الله ـ عز وجل ـ وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

الأيمن من اليمين، أي: من ناحيته اليمنى، أو من اليمن صفة للطور، أو للجانب، شبهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة؛ حيث كلمه بغير واسطة ملك، وعن أبي العالية:

---

(١) إني أتتني لسان لا أسر به ... من علو لا كذب فيه ولا سخر
فجاشت النفس لما جاء فلهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر

للأعشى الباهلي، لما جاء الناعي بقتل المنتشر أخيه، عبر باللسان عن الكلام مجازاً؛ لأنه آلته. وأنث الفعل لتأويل الفاعل بالكلمة أو الرسالة، وذكر فيما بعد نظراً للظاهر، من علو بالبناء على الفتح، أي: من أعلى نجد. والسخر: مصدر سخر كتعب. وجاشت القدر: غلت وارتفع ما فيها. والتجوز بالجيشان عن حرارة القلب مشهور والفل: الفئة. وتثليث: اسم موضع ممنوع من الصرف. وراكب: عطف على «فلهم»، و«معتمر» نعته، وجاء الثاني بدل.
ينظر إصلاح المنطق ص ٢٦، والأصمعيات ص ٨٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٠، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، ١٣٠٩، وخزانة الأدب ٦/ ٥١١، وسمط اللآلي ص ٧٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٩٠، ولسان العرب (سخر)، (لسن)، والمؤتلف والمختلف ص ١٤، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ١٩١، ٤/ ١٥٦، ولسان العرب (علا).

قرّبه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: من أجل رحمتنا له، وترأفنا عليه: وهبنا له هارون، أو بعض رحمتنا، كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣]. و﴿أَخَاهُ﴾: على هذا الوجه بدل، و﴿هَٰرُونَ﴾: عطف بيان[1]: كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً، وكان هارون أكبر من موسى، فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس، رضي الله عنه.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

ذكر إسماعيل ـ عليه السلام ـ بصدق الوعد وإن كان ذلك موجوداً في غيره من الأنبياء؛ تشريفاً له وإكراماً، كالتلقيب بنحو: الحليم، والأوّاه، والصدّيق؛ ولأنه المشهور المتواصف من خصاله، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة، وناهيك أنه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفى؛ حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الكهف: ٦٩]، كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم،؛ ولأنهم أولى من سائر الناس، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]؛ ألا ترى أنهم أحق بالتصدّق عليهم، فالإحسان الديني أولى، وقيل: ﴿أَهْلَهُۥ﴾: أمته كلهم من القرابة وغيرهم؛ لأنّ أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أنّ من حق الصالح ألاّ يألو نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب ٢/ ٥ب والمتصلين به، وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

قيل: سمي إدريس؛ لكثرة دراسته كتاب الله ـ عزّ وجل ـ وكان اسمه أخنوخ، وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان أفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل العجمة؛ وكذلك إبليس أعجمي، وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت، ومن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: الظاهر أن «أخاه» مفعول «وهبنا» ولا ترادف «من» بعضاً، فتبدل «أخاه» منها. انتهى. الدر المصون.

لم يحقق ولم يتدرّب بالصناعة، كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معني ﴿إِدْرِيسَ﴾: في تلك اللغة قريباً من ذلك، فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس، المكان العلي: شرف النبوّة والزلفى عند الله، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وأوّل من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود، وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يرفعه إنه رفع إلى السماء الرابعة (٩٢٥)، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إلى السماء السادسة (٩٢٦)، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة، وعن النابغة الجعدي: أنه لما أنشد عند رسول الله ﷺ الشعر الذي آخره [من الطويل]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَٰلِكَ مَظْهَرَا[1]

---

٩٢٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/٣١٦) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم حديث (٣١٥٧) من طريق شيبان عن قتادة عن أنس.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة وهمام، وغير واحد عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة عن النبي ـ ﷺ ـ حديث المعراج بطوله، وهذا عندنا مختصر من ذاك.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٩٤)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

تنبيه: وقع في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/٣٢٨)، و«الدر المنثور» أن الترمذي صحح هذا الحديث، وفي نسختنا وقع تحسينه فقط.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي من رواية شيبان عن قتادة عن أنس بهذا. وقال: هو عندي مختصر من حديث الإسراء الذي رواه سعيد، وهمام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. انتهى.

٩٢٦ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٩٤)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه، وأخرجه الطبري في «تفسيره» من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

وينظر تخريج الكشاف للزيلعي (٢/٣٢٨).

قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عطية عنه. انتهى.

---

(١) ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

للنابغة الجعدي، أنشده أمام رسول الله ﷺ فقال: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة بك يا رسول الله، فقال: لا يفضض الله فاك. فعمر فوق مائتي عام، وكان إذا سقطت له سن نبت بدلها. والحلم: الأناة والعقل. والبادرة: الكلمة تصدر حال الغضب. وشبه الحلم بالماء على طريق المكنية. والصفاء والتكدير: تخييل، والمراد بالجهل: عجلة الإقدام على عظائم الأمور. والإيراد جعل الشيء وارداً. والاصدار: جعله صادراً. والمراد تسبب في وجوده وإعظامه وفي تحقيره وإعدامه. ويحتمل أنه شبه الأمر المعضل بحيوان يورده صاحبه إلى الماء تارة ويرجعه أخرى، على طريق المكنية، والإيراد والإصدار. تخييل. ويجوز أن فاعل أورد ضمير الجهل، وفاعل أصدر ضمير الحليم، أي: إذا تسبب الجهل والشجاعة في أمر خطأ أرجعه الحليم وأبطله، فلا بد من =

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِلَىٰ أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى!» قال: إلى الجنة (٩٢٧).

---

٩٢٧ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥١)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣٤٤)، وفي «أخبار أصبهان» (١/ ٧٤) من طريق يعلى بن الأشدق عن النابغة فذكره.
ومن هذا الوجه ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٣١١ ـ بتحقيقنا)، وعزاه للبزار والحسن بن سفيان في مسنديهما، وأبي نعيم في أخبار أصبهان والشيرازي في الألقاب، كلهم من طريق يعلى بن الأشدق وقال: وهو ساقط الحديث.
وقال الحافظ في الإصابة (٦/ ٣١١ ـ ٣١٢).
قال أبو نُعَيْم: رواه عن يعلى جماعةٌ منهم هاشم بن القاسم الحرَّاني، وأبو بكر الباهليّ، وعروة العِرقيّ، لكنّه تُوبع؛ فقد وقعت لنا قصةٌ في غريب الحديث للخطابيّ؛ وفي كتاب العلم للمرهبيّ وغيرهما، من طريق مهاجر بن سليم، عن عبد الله بن جراد: سمعت نابغة بني جعدة يقول: أنشدت النبيّ ﷺ قولي: عَلَونا السماء... البيت؛ فغضب وقال: «أَيْنَ المَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى»؟ قلت: الجنة. قال: «أَجَلْ إن شَاءَ الله». ثم قال: أنشِدني من قولك. فأنشدته البيتين: ولا خَيْر في حلم، فقال لي: «أَجَدْتَ، لا يَفْضُض الله فَاكَ». فرأيتُ أسنانه كالبرد المنهل، ما انفصمت له سنٌّ ولا انفلتت.
ورويناه في المؤتلف والمختلف لِلدارقُطْنِيّ، وفي الصحابة لابن السكن، وفي غيرهما من طريق الرَّحال ابن المنذر: حدثني أبي، عن أبيه كرز بن أسامة، وكانت له وفادة مع النابغة الجعديّ، فذكرها بنحوه، ورويناها في الأربعين البلدانية للسلفي، من طريق أبي عمرو بن العلاء، عن نصر بن عاصم الليثيّ، عن أبيه: سمعتُ النابغة يقول: أتيتُ رسول الله ﷺ فأنشدته قولي: أتيت رسول الله... البيت، وبعده: بلغنا السماء... البيت؛ فقال: «إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى»؟ قال: إلى الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ شَاءَ الله»... فلما أنشدته ولا خَيْرَ في جهل... البيت: ولا خير في حلم... البيت ـ فقال لي: «صَدَقْتَ لاَ يَفْضُض الله فَاكَ» فبقي عمره أحسن الناس ثغراً كلما سقطت سنٌّ عادت أخرى؛ وكان معمَّراً.
ورويناه في مسند الحارث بن أبي أسامة، من طريق الحسن بن عبيد الله العنبريّ، قال: حدّثني مَنْ سمع النابغة الجعدي يقول: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأنشدته [من الطويل]:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا ... إِذَا مَا التَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا ... صِحَاحاً وَلاَ مُسْتَنْكَرًا أَنْ نُعَقَّرَا =

= اجتماع الحلم والجراءة معاً حتى يكمل الرجل. ومجدنا وسناؤنا بالرفع بدلاً من فاعل بلغنا. وقيل: هما مفعولان فهما بالنصب. وانظر ما وجهه، ولعله أنهما ظرفان اعتباريان، أي: بلغنا السماء في المجد والسناء. أو بدلان من السماء، بأن شبههما بها، ثم أطلقها عليهما وأبدلهما منها، وهو أوجه من الظرفية. ولو قيل على النصب: أنهما تمييزان. كان وجيها، لكنه على رأي الكوفيين القائلين بجوازه معرفة، ولما ادعى بلوغ السماء بنى عليه ما يبني على المحسوس فقال: وإنا لنرجو مظهرا فوق ذلك.
ينظر: خزانة الأدب (٣/ ١٦٩)، (٧/ ٤١٩)، وشرح التصريح (٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٩)، والمقاصد النحوية (٤/ ١٩٣)، وأوضح المسالك (٣/ ٤٠٦)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٣٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ـ عليه السلام ـ و«من» في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأن جميع الأنبياء منعم عليهم، ومن الثانية للتبعيض، وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه؛ لأنه جد أبي نوح، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ: من ذرية من حمل مع نوح؛ لأنه من ذرية سام بن نوح، وإسماعيل: من ذرية إبراهيم، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى: من ذرية إسرائيل؛ وكذلك عيسى؛ لأنّ مريم من ذرّيته، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾: يحتمل العطف على من الأولى والثانية، إن جعلت الذين خبراً لأولئك كان ﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾: كلاماً مستأنفاً، وإن جعلته صفة له كان خبراً، قرأ شبل بن عباد المكي: «يتلى»: بالتذكير؛ لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل، البكي: جمع باك، كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد، وعن رسول الله ﷺ: «اتْلُوا القُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا» (٩٢٨)، وعن صالح المري ـ رضي الله عنه ـ: قرأت القرآن

= بَلَغْنَا السَّمَاءَ..... ..... البيت.

وبقية القصيدة نحوه.

ورويناها مسلسلة بالشعراء مِنْ رواية دعبل بن علي الشّاعر، عن أبي نواس، عن والبة بن الحباب، عن الفرزدق، عن الطرماح، عن النّابغة؛ وهي في كتاب الشّعراء لأبي زُرعة الرّازي المتأخر.

قال الحافظ: أخرجه البزار، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل لها من طريق يعلى بن الأشرف عنه، وله طريق أخرى عند البيهقي وذكر القصيدة. انتهى.

٩٢٨ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٢/ ٤٩ ـ ٥٠) رقم (٦٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣١)، كلهم من طريق الوليد بن مسلم ثنا أبو رافع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعد بن أبي وقاص به.

قال البوصيري في الزوائد: في إسناده أبو رافع اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك. وللحديث طريق آخر.

أخرجه إسحاق بن راهويه والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن السائب عن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اقرءوا القرآن وابكوا؛ فإن لم تبكوا فتباكوا». وقال البزار: لا نعلمه عن سعد إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعبد الرحمن بن أبي بكر هذا لين الحديث.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق والبزار من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعيد بلفظ: «إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ـ الحديث» ومن هذا الوجه أخرجه أبو يعلى والحارث. والبيهقي في الشعب، وإسماعيل أيضاً لين. انتهى.

على رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: «هٰذِهِ القِرَاءَةُ يَا صَالِحُ، فَأَيْنَ البُكَاءُ؟»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا قرأتم سجدة سبحان، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه، وعن رسول الله ﷺ «إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا» (٩٢٩)، وقالوا: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها؛ فإن قرأ آية تنزيل السجدة، قال: اللهم: اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك، وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وإن قرأ سجدة سبحان، قال: اللهم، اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك، وإن قرأ هذه، قال: اللهم، اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾

خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير: «خلف»: بالفتح، وفي عقب السوء: خلف: بالسكون، كما قالوا: «وعد» في ضمان الخير، و«وعيد»: في ضمان الشر، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هم اليهود؛ تركوا الصلاة المفروضة، وشربوا الخمر، واستحلوا نكاح الأخت من الأب، وعن إبراهيم ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: أضاعوها

---

٩٢٩ ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٦) من طريق إسماعيل بن سيف ثنا عوين بن عمرو أخو رباح القيسي ثنا الجريري عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن بحزن فإنه نزل بالحزن».

واستغربه أبو نعيم.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٤٢٧) رقم (٢٩٢٣) من طريق إسماعيل بن سيف به وقال: لم يرو هذا الحديث عن سعيد إلا عوين تفرد به إسماعيل.

والحديث ذكره الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٣)، وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف.

تنبيه: عزا هذا الحديث الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٣٠) إلى أبي يعلى ولم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع، ثم وجدت الحافظ ابن حجر ذكر هذا الحديث في «المطالب العالية» (٣٤٩٨)، وعزاه لأبي يعلى أيضاً فلعل الحديث في مسنده الكبير.

وللحديث شاهد من حديث ابن عباس.

أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٣٠) حدثنا عبد الباقي بن قانع ثنا محمد بن يونس ثنا أبو زيد سعيد بن أوس ثنا قيس بن الربيع عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل بحزن فاقرءوه بحزن».

ومحمد بن يونس هو الكديمي ضعيف.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس بلفظ: «فاقرءوه بحزن» وإسناده ضعيف. ورواه أبو يعلى والعقيلي. وأبو نعيم في ترجمة رباح بن عمرو، والعبسي من حديث أبي بريدة عن أبيه بلفظ: «اقرءوا القرآن بحزن فإنه نزل بحزن». انتهى.

بالتأخير، وينصر الأول قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ يعني: الكفار، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور، وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: هو في هذه الأمة، وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك ـ رضي الله عنهم ـ: الصلوات: بالجمع.

كل شر عند العرب: غيّ، وكل خير: رشاد؛ قال المرقش [من الطويل]:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً تَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لاَئِمَا[1]

وعن الزجاج: جزاء غيّ؛ كقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة أثام، أو غيًّا عن طريق الجنة، وقيل: «غيّ»: واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها، وقرأ الأخفش: (يلقون).

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

قرئ: «يدخلون»، و«يدخلون»، أي: لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه، بل يضاعف لهم؛ بياناً لأن تقدّم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك، من قولك: ما ظلمك أن تفعل كذا، بمعنى: ما منعك، أو لا يظلمون ألبتة، أي؛ شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها؛ كقولك: أبصرت دارك القاعة والعلالي، و«عدن»: معرفة علم، بمعنى: العدن، وهو الإقامة، كما جعلوا: فينة،

---

(١) أمن حلم أصبحت تنكت واجمًا؟ وقد تعتري الأحلام من كان نائما
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

للمرقش الأصغر صاحب فاطمة بنت المنذر، والأكبر عم الأصغر وعم طرفة، وهو صاحب أسماء، والاستفهام للتوبيخ، والحلم ـ بضمتين ـ: ما يراه النائم. والنكت: التخطيط والنقر في الأرض بأصبع، أو عود، كما يفعل المهموم المتفكر. والواجم: الحزين، والواو للحال، أي: والحال أن أضغاث الأحلام قد تعتري النائم، فكان مجردة عن المعنى، فمن يلق: أي يصادف خيراً في أفعاله، يحمد الناس فعله، أو شأنه. وإيقاع الحمد عليه لأنه سببه، ومن يفعل غيا لا يعدم لائماً يلومه على غيه. وقيل: أراد بالخير الغنى، وبالغي: الفقر، ويبعده مقام اللوم وعدم مناسبته لما قبله، وغوى يغوي: من باب ضرب: انهمك في الجهل، وعدم يعدم ـ من باب علم ـ: فقده.
للمرقش الأصغر في ديوانه ص ٥٦٥، ولسان العرب (غوى)، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٠٤، وتاج العروس (غوي)، وبلا نسبة في كتاب العين ٢/ ٢٣٨، ومقاييس اللغة ٤/ ١٩٢، ٣٩٩، والمخصص ٦/ ١٧٠، ١٣/ ٧٦.

وسحر، وأمس ـ فيمن لم يصرفه ـ: أعلاماً لمعاني ٢/٦أ: الفينة[1]، والسحر، والأمس، فحرى مجرى العدن لذلك، أو هو علم لأرض الجنة؛ لكونها مكان إقامة، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بالتي، وقرئ: «جنات عدن»، و«جنة عدن»: بالرفع على الابتداء، أي: وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به، قيل في ﴿مَأْتِيًّا﴾: مفعول، بمعنى: فاعل، والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

اللغو: فضول الكلام وما لا طائل تحته، وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه؛ حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها، وما أحسن قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]، نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا، أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك، فهو من وادي قوله [من الطويل]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[2]

أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، على الاستثناء المنقطع[3]؛ أو لأن معنى: السلام هو: الدعاء بالسلامة[4]، ودار السلام: هي دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث،

---

(١) قوله «لمعاني الفينة» في الصحاح «لقيته الفينة بعد الفينة» أي الحين بعد الحين. وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت: لقيته فينة، كما قالوا: لقيته الندري، وفي ندري. (ع).

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١٢٧ من سورة الأعراف من الجزء الثاني فراجعه إن شئت اهـ.

(٣) قال محمود: «يجوز أن يكون من قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وأن يكون استثناء منقطعاً» قال أحمد: والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز، بتاً لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول: إن كان فلول السيوف من القراع عيباً فإنهم ذوو عيب، معناه: وإن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب ألبتة؛ لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل.

(٤) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون متصلاً على أن يكون السلام هو الدعاء بالسلامة... إلخ» قال أحمد: وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة، لا كالأول الناشئ عن المجاز. وفي هذا الباب بعد؛ لأنه يقتضي البت بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول، وحاش لله، فلا غول فيها ولا لغو.

لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

من الناس من يأكل الوجبة[1]، ومنهم من يأكل متى وجد ـ وهي عادة المنهومين، ومنهم من يتغدى ويتعشى ـ وهي العادة الوسطى المحمودة، ولا يكون ثم ليل ولا نهار، ولكن على التقدير؛ ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء، وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساء وبكرة وعشيًّا، يريد: الديمومة، ولا تقصد الوقتين المعلومين.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾

﴿نُورِثُ﴾، وقرئ: «نورّث»، استعارة، أي: نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورّث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورّث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾: حكاية قول جبريل ـ صلوات الله عليه ـ حين استبطأه رسول الله ﷺ روي أنه احتبس أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً؛ وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، وقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل ـ عليه السلام ـ قال له النبي ﷺ: «أَبْطَأْتَ حَتَّىٰ سَاءَ ظَنِّي وَٱشْتَقْتُ إِلَيْكَ». قال: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، وأنزل الله ـ سبحانه ـ هذه الآية وسورة الضحى (٩٣٠)، والتنزل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على

---

٩٣٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف: رواه ابن إسحاق في سيرته بنقص يسير .اهـ.
وأخرجه ابن هشام في سيرته (١/ ٣٧٨: ٣٨١) رقم (٢٨٦ ـ ٢٨٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) بسنده عن ابن إسحاق، وقال: «حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ومن طريق ابن إسحاق، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٣١)، ورواه أيضاً من طريق الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس فذكر نحوه، =

---

(١) قوله «من الناس من يأكل الوجبة» أي يأكل كل يوم وليلة مرة. وقد وجب نفسه ترجيباً إذا عودها ذلك؛ كذا في الصحاح. (ع)

الإطلاق؛ كقوله [من الطويل]:

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[1]

= وفيه قال: «فأبطأ جبريل عن النبي ـ ﷺ ـ خمسة عشر يوماً لا يأتيه لتركه الاستثناء... الحديث.

كما أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي. فقالوا: احتبس، فذكره سواء، وكأنه ملفق عندهم، فقد ذكره ابن إسحاق في السيرة، قال: حدثني شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس «أن قريشاً جاءوا فقالوا: يا محمد. أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ـ فذكر القصة ـ وفيها فمكث فيما يذكرون خمسة عشر ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك، وصار لا يأتيه جبريل. فذكره بتغير وزيادة ونقص. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريقه، ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه، وقال أبطأ عنه خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء. انتهى.

---

(١) تعاليت أن تعزى إلى الإنس جلة وللإنس من يعزوك فهو كذوب
فلست بإنسي ولكن ملأكا تنزل من جو السماء يصوب

لرجل من عبد القيس، يمدح النعمان بن المنذر. وقيل: لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير. وتعزى: أي تنسب، والجلة ـ بالضم ـ: وعاء التمر، وبالكسر: الجماعة العظيمة، جمع جليل، وبالفتح: البعرة، وهو تمييز محول من نائب عن الفاعل، أي: تعاليت عن أن ينسب وعاؤك أي: أصلك إلى الإنس. وقوله: وللإنس من يعزوك، فيه تقديم معمول الصلة على الموصول. والمشهور منعه؛ لأنهم يتوسعون في الظروف، وزيدت الفاء في خبر الموصول لأنه يشبه الشرط، ولو جعل شرطاً لكان فيه إثبات حرف العلة بعد الجازم للضرورة. والملأك معفل، بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة، وقال أبو عبيدة: هو مفعل على اسم المكان، من لأك إذا أرسل، ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة. وقال ابن كيسان: هو فعأل من الملك، فالهمزة زائدة، وعلى كل يخفف بالنقل فيقال فيه تلك. والصوب: القصد أو الميل عند النزول، ونصب ملأكا لأنه اسم لكن، وما بعده صفته، أي: ولكن ملأكا نازلاً من السماء أنت. وفيه: أن المحدث عنه الممدوح لا الملك، ويمكن أنه قلب للمبالغة كما قالوه في التشبيه المقلوب. ويحتمل أن تقديره: ولكنك كنت ملأكا، وفيه بعد. والأوجه رواية الصحاح:

فلست لإنسي ولكن لملأك

أي: فلست منسوباً لإنسي ولكن لملك، وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء، يصوب: أي يقصد إلى جهة.

في صلة ديوانه ص ١١٨، ولمتمم بن نويرة في ديوانه ص ٨٧، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٢٢٢، ولرجل من عبد القيس، أو لأبي وجزة، أو لعلقمة في المقاصد النحوية ٤/ ٥٣٢، ولرجل من عبد القيس يقال: إنه النعمان، أو لأبي وجزة في لسان العرب (ملك)، وبلا نسبة في الأزهية ص ٢٥٢، والأشباه والنظائر ٨/ ٦٩، والاشتقاق ص ٢٦، وإصلاح المنطق ص ٧١، وأمالي ابن الحاجب ص ٨٤٣، وجمهرة اللغة ص ٩٨٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣٤٦، وشرح شواهد الشافية ص ٢٨٧، والكتاب ٤/ ٣٨٠، ولسان العرب (صوب)، (ألك) (لأك)، (ملك)، والمنصف ٢/ ١٠٢.

لأنه مطاوع نزل، ونزل يكون بمعنى: أنزل، وبمعنى: التدريج، واللائق بهذا الموضع هو: النزول على مهل، والمراد: أن نزولنا في الأحايين وَقْتًا غِبَّ وقت ليس إلا بأمر الله، وعلى ما يراه صواباً وحكمة، وله ما قدامنا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: من الجهات والأماكن، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك: ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون، وما يحدث ويتجدد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملوكته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة، وأطلق لنا الإذن فيه، وقيل: ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وهو أربعون سنة، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما غبر منها، والحال التي نحن فيها، وقيل: ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا، وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي وراءنا، وما بين السماء والأرض، والمعنى: أنه المحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه، وقيل: معنى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: وما كان تاركاً لك؛ كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]، أي: ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، ٢/ ٦ب وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك، ولكن لتوقفه على المصلحة، وقيل: هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، أي: وما ننزل الجنة إلا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها، وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة، اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها، ثم قال الله تعالى ـ تقريراً لقولهم ـ: وما كان ربك نسيًا لأعمال العاملين، غافلاً عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما؟ ثم قال لرسوله ـ ﷺ ـ: فحين عرفته على هذه الصفة، فأقبل على العمل واعبده: يثبك كما أثاب غيرك من المتقين، وقرأ الأعرج ـ رضي الله عنه ـ: «وما يتنزل»: بالياء على الحكاية عن جبريل ـ عليه السلام ـ والضمير: للوحي، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إلا بقول ربك: يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بدل من ربك، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات والأرض، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾؛ كقوله [من الطويل]:

وَقَائِلَةٍ خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ . . . . . (١)

(١) وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا =

وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة.

فإن قلت: هلا عدى: ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: بعلى التي هي صلته؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

قلت: لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك: أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك، أي: لم يسم شيء بالله قط، وكانوا يقولون لأصنامهم: آلهة، والعزى: إله، وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة، فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا يُسَمَّىٰ أحد الرحمن غيره (٩٣١)، ووجه آخر: هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون

---

٩٣١ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٥) كتاب التفسير وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وذكره الواحدي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٣). =

= شاعره مجهول. أي: ورب قائلة. وخولان بالفتح اسم قبيلة باليمن، وهو مبتدأ خبره ما بعده، والفاء زائدة فيه على رأي الأخفش والفراء، ومنع سيبويه زيادتها هنا: لأن المبتدأ لم يشبه الشرط، فخبره محذوف، أي: خولان كرام فانكح أي تزوج فتاتهم، أو هو خبر لمحذوف، أي: هؤلاء خولان المعروفون بالكرم، تتزوج بفتاتهم. وبني «أكرومة» من الكرم للدلالة على كثرة الكرم، كما أن أعجوبة من التعجب للدلالة على كثرته، والجملة حالية، فيحتمل أنها مانعة من نكاح الفتاة، أي: قالت لي ذلك، والحال أن أكرومة الحيين أي كريمة حي أبي وحي أمي؛ خلو بالضم: خالية من الأرواح كما كانت، فهي أولى من الفتاة بالزواج لقرابتها مني. ويحتمل أنها داعية إليه، فالمعنى: قالت لي ذلك والحال أن الفتاة التي هي أكرومة الحيين، أي حي أبيها وحي أمها من خولان، على ما هي عليه من البكارة، أو من الخلو من الأزواج لم تتزوج أحداً قبلي، فهي حقيقة بأن أتزوجها لكرم طرفيها، فعلم أن الكاف بمعنى على. ويجوز أن يشبه حالها الآن بحالها فيما مضى. فالكاف على أصلها. ويحتمل أن الواو للعطف، أي: قالت ذلك، وقالت: إنها خالية لم يطمثها أحد قبلك، فهي حقيقة بالزواج لذلك، لكنه بعيد.
ينظر الأزهية ص ٢٤٣، أوضح المسالك ٢/ ١٦٣، الجنى الداني ص ٧١، خزانة الأدب ١/ ٣١٥، ٤/ ٤٥٥، ٨/ ٣٦٩، ١٩، ١١/ ٣٦٧ الدرر ٢/ ٣٦، الرد على النحاة ص١٠٤، رصف المباني ص ٣٨٦، شرح أبيات سيبويه ١/ ٤١٣، شرح الأشموني ١/ ١٨٩، شرح التصريح ١/ ٢٩٩، شرح شواهد الإيضاح ص ٨٦، شرح شواهد المغني ١/ ٤٦٨، ٢/ ٨٧٣، شرح المفصل لابن يعيش ١/ ١٠٠، ٨/ ٩٥، الكتاب ١/ ١٣٩، ١٤٣، لسان العرب (غلا)، المقاصد النحوية ٢/ ٥٢٩، همع الهوامع ١/ ١١٠ العين ٢/ ٥٢٩، الدرر ١/ ٧٩، الدر المصون ٢/ ٥٢٢.

الباطل؛ لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتدّ بها كلا تسمية، وقيل: مثلاً وشبيهاً، أي: إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده، لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره، وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة.

فإن قلت: لم جازت إرادة الأناسي كلهم، وكلهم غير قائلين ذلك؟

قلت: لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم، صح إسناده إلى جميعهم، كما يقولون: بنو فلان قتلوا فلانا؛ وإنما القاتل رجل منهم؛ قال الفرزدق [من الطويل]:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ... نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ[1]

فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله: «نبا بيدي ورقاء»، وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿إِذِ ٱنبَعَثَ﴾، وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام، لا تقول: اليوم لزيد قائم؟

قلت: بفعل مضمر يدل عليه المذكور.

فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى: الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال[2]؟

= وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان.

---

(١) للفرزدق وهذا لقبه، واسمه همام أو همميم، يريد: ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. أمره سليمان بن عبد الملك بضرب أعناق بعض أسرى الروم، وأعطاه سيفاً لا يقطع فقال: بل أضربهم بسيف أبي رغوان مجاشع، يعني نفسه، فضرب عنق خالد فانحرف السيف وارتفع عن المضرب، فضحكوا منه. ونسب السيف والضرب إلى بني عبس مع أنهما لواحد منهم، تعظيماً لهما وتفخيماً. وجعله في اليدين إشارة إلى أنه كان مجمعاً أمره وحازماً عزمه غير متهاون... والمعنى: أن الحذر لا ينفع من القدر كما وقع لورقاء، مع أنه في غاية الحرص، لا سيما أمام الملك. ويجوز أنه يريد ذم بني عبس.

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف اجتمعت اللام وهي للحال مع حرف الاستقبال... الخ» قال أحمد: =

قلت: لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد، كما أخلصت الهمزة في: يا أله: للتعويض، واضمحل عنها معنى التعريف[1]، و«ما» في ﴿إِذَا مَا﴾: للتوكيد ـ أيضاً ـ فكأنهم قالوا: أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد، والمراد: الخروج من الأرض، أو من حال الفناء، أو هو من قولهم: خرج فلان عالماً، وخرج شجاعاً: إذا كان نادراً في ذلك، يريد: سأخرج حيًا نادراً على سبيل التهزؤ، وقرأ الحسن وأبو حيوة: لسوف أخرج، وعن طلحة بن مصرف ـ رضي الله عنه ـ: لسأخرج؛ كقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ولسيعطيك، وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم، فهو كقولك: للمسيء إلى المحسن: أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه: الواو عطفت ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ على ﴿وَيَقُولُ﴾، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف، يعني: أيقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى[2]؛ فإن تلك أعجب

= ولاعتقاد تناقض الحرفين: منع الكوفيين اجتماعهما. وإنما جردت اللام من معناها لتلائم «سوف» دون أن تجرد سوف لتلائم اللام؛ لأنه لو عكس هذا للغت سوف، إذ لا معنى لها سوى الاستقبال. وأما اللام إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد، فلم تلغ، فتعين، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذكر من أنَّ اللام تعطي الحال مخالف فيه»، فعلى مذهب مَنْ لا يرى ذلك يسقط السؤال، وأما قوله: «كما أخلصت الهمزة» فليس ذلك إلاَّ على مذهب من يزعم أن أصله: إلَه، وأما مَنْ يزعم أنَّ أصله لاَهٍ، فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء، ولو قلنا إنَّ أصله: إلَه وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أنَّ الهمزة فيه في النداء للتعويض؛ إذ لو كانت عوضاً عن المحذوف لثبت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النداء، قالوا: «يا للَّهُ بحذفها وقد نصُّوا على أنَّ قطع همزة الوصل في النداء شاذ» انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ذكر الله الإنسان النشأة الأولى ليعترف بالأخرى... إلخ» قال أحمد: مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلاً، ثم واقعة نقلاً. والمعتزلة وإن وافقت على ذلك، إلا أنها تزعم أن المعدوم له ذات ثابتة في العدم، يقضي عليها بأنها شيء فليس عندهم عدم صرف ونفي محض قبل الوجود ولا بعده، فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم، ولأنكروا إعادة المعدوم كما أنكره القدماء. وعقيدة أهل السنة هي المطابقة للآية؛ لأن النشأة الأولى لم يتقدمها وجود، ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئاً قبل ذلك. وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود، وكان المنشأ قبلها شيئاً في زمان وجوده، ثم عدم وبطلت شيئيته، فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن. وأما المعتزلة فإن قالوا: إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجدها، فقد قالوا الحق، لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين؛ لأن المعدوم فيهما كان شيئاً قبل النشأة، فإن قالوا: لا تنعدم الأجسام، وإنما تتفرق ثم تجمع كما صرح به الزمخشري: لأنه تفطن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بأن المعدوم شيء ـ يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك، وقد نطق به القرآن فالتزم أن الأجسام لا تنعدم ليتم له الفرق بين النشأة الثانية ـ وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود ـ وبين النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم، فتنبه لبعد غوره، ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب، فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار، والله ولي =

وأغرب وأدل على قدرة الخالق؛ حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها، من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته، وأما الثانية: فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها، وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾: دليل على هذا المعنى؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ ٢/ ٧أ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، على أن رب العزة سواء عليه النشأتان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال: ولا استعانة بحكيم، ولا نظر في مقياس، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته، وكشفاً عن صفحة جهله، القراء كلهم على: (لا يذكر): بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصما ـ رضي الله عنهم ـ فقد خففوا، وفي حرف أبيّ: يتذكر، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

في إقسام الله ـ تعالى ـ باسمه ـ تقدست أسماؤه ـ مضافاً إلى رسول الله ﷺ: تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣] والواو في: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى: مع، وهي بمعنى: «مع» أوقع، والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم[1]

= التوفيق. ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين: أن الجاحد متهافت لأنه اعترف بالأولى وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل، وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون؛ لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى؛ فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء.

(١) عاد كلامه. قال: «والإنسان يحتمل أن يراد به العموم... الخ» قال أحمد: التبست عليه إرادة العموم بتناول العموم وبينهما بَوْنٌ، ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون، فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم، ومعنى إرادة العموم: أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان، ومعاذ الله. وقد صرح الزمخشري بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي العبارة خلل كما ترى. والعبارة الصحيحة أن يقال: يحتمل أن يكون التعريف جنسيا، فيكون عهديا، فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا، والله أعلم.

فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟

قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهمو الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء؟

قلت: لم يفرّق بينهم وبينهم في المحشر، وأحضروا؛ حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردوا معهم النار؛ ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم، فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسروراً إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم، فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.

فإن قلت: ما معنى: إحضارهم جثيا؟

قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص، فالمعنى: أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلاً[1] على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثاة على ركبهم، غير مشاة على أقدامهم؛ وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨]، على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب؛ لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدّة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، فيحبون على ركبهم حبواً، وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم، على أن جثيًا: حال مقدرة، كما كانوا في الموقف متجاثين؛ لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب، والمراد بالشيعة ـ وهي: «فعلة» كفرقة وفتية ـ الطائفة التي شاعت[2]، أي: تبعت غاوياً من الغواة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يريد: نمتاز من كل طائفة من طوائف الغيّ والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا، طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أو أراد بالذين هم أولى به صليًا: المنتزعين كما هم، كأنه قال: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين، ودركاتهم أسفل، وعذابهم أشدّ، ويجوز أن يريد بأشدّهم عتيًا: رؤساء الشيع وأئمتهم؛ لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالاً ومضلين، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]،

---

(١) قوله «عتلا» العتل: الجذب العنيف. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «شاعت» في الصحاح: شاعه شياعا: تبعه. (ع)

واختلف في إعراب: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية، تقديره: لننزعنّ الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه على أنه مبني على الضم، لسقوط صدر الجملة التي هي صلته، حتى لو جيء به لأعرب، وقيل: أيهم هو أشد، ويجوز أن يكون النزع واقعاً على: ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾؛ كقوله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٢٥]، أي: لننزعن بعض كل شيعة، فكأنّ قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيًا[١]، وأيهم أشد: بالنصب عن طلحة بن مصرف، وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء.

فإن قلت: بم يتعلق على والباء؛ فإنّ تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟

قلت: هما للبيان لا الصلة، أو يتعلقان بأفعل، أي: عتوّهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار؛ كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾: التفات إلى الإنسان، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة ـ رضي الله عنهما ـ: «وإن منهم»، أو خطاب للناس[٢] من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي جامدة، فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: يردونها كأنها إهالة، وروى دواية[٣]، وعن جابر بن عبد الله؛ أنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك؟ فقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا تكلف ما لا حاجة إليه، وادعاء إضمار غير محتاج إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين». وحكى أبو البقاء عن الأخفش، والكسائي أنه مفعول «لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ»، و«مِنْ» مزيدة، قال: «وهما يجيزان زيادة «مِنْ» و«أَيُّ» استفهام»، أي: لننزعن كل شيعة، وهذا يخالف في المعنى تخريج الجمهور، فإنَّ تخريجهم يؤدي إلى التبعيض، وهذا يؤدي إلى العموم، إلاَّ أنْ تجعل «مِنْ» لابتداء الغاية، لا للتبعيض، فيتفق التخريجان. وذهب الكسائي إلى أنَّ معنى «لَنَنْزِعَنَّ» لننادين فعومل معاملته، فلم يعمل في «أَيُّ». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «يحتمل أن يكون استئنافاً خطاباً للناس، ويحتمل أن يكون التفاتاً». قال أحمد: احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانياً؛ إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً، فالثاني ليس التفاتاً، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين، والله أعلم.

(٣) قوله «كأنها إهالة وروي دواية» في الصحاح «الإهالة» الودك. وفيه أيضاً «الدواية» الجليدة التي يوضع فيها اللبن والمرق. (ع)

أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا ٢/ ٧ب رَبُّنا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ جَامِدَةٌ» (٩٣٢)، وعنه ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقول: «الوُرُودُ: الدُّخُولُ، لاَ يَبْقَىٰ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْداً وَسَلاَماً؛ كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، حَتَّىٰ إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهَا» (٩٣٣)، وأما قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، فالمراد: عن عذابها، وعن ابن مسعود والحسن وقتادة: هو الجواز على الصراط؛ لأنّ الصراط ممدود عليها، وعن ابن عباس: قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، ووردت القافلة البلد، وإن لم تدخله ولكن قربت منه، وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا، لقوله ـ عليه السلام ـ: «الحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» (٩٣٤)، وفي الحديث: «الحُمَّىٰ

---

٩٣٢ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٣٢) في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٣٢): «غريب لم أجده إلا من قول خالد بن معدان».
وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية، ولأبي عبيد القاسم بن سلام في غريبه، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن المبارك في الزهد.
وذكره الواحدي في التفسير (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢)؛ كلهم من حديثي خالد بن معدان. قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٩): «رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن يونس، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات، ورجاله رجال الصحيح» اهـ.
قال الحافظ: روي عن جابر هكذا. قلت المحفوظ عن جابر ما سيأتي بعد. وروى ابن إسحاق وأبو عبيد في الغريب وابن المبارك في الزهد من طريق ومعه خالد بن معدان. قال: «إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضاً: «ألم يعدنا ربنا» ولم يذكره الواحدي والبغوي إلا من هذا الوجه. انتهى.

٩٣٣ ـ أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٨)، والحاكم في المستدرك كتاب الأهوال (٤/ ٥٨٧)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٦٣) في الأصل السادس عشر، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٣٦) رقم (٣٧٠).
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٨): «رواه أحمد ورجاله ثقات»، وذكره الواحدي في التفسير (٣/ ١٩١)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٥)، وعزاه أيضا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث. وعزاه الزيلعي أيضاً للنسائي في الكنى، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة في مسنديهما.
قال الحافظ: رواه أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد. قالوا: حدثنا سليمان بن حرب، وأخرجه أبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي في الشعب في باب النار، والحكيم في النوادر. السادس عشر، كلهم من طريق سليمان. قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمية قال: «اختلفنا في الورود»، فسألنا جابراً فذكر الحديث أتم منه، وخالفهم كلهم الحاكم فرواه من طريق سليمان بهذا الإسناد فقال: عن سمية الأزدية عن عبد الرحمن بن شيبة بدل أبي سمية عن جابر. انتهى.

٩٣٤ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٠) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار حديث (٣٢٦٣)، ومسلم (٤/ ١٧٣٢) كتاب السلام: باب: لكل داء دواء حديث (٢٢١٠) من حديث عائشة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: =

حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ» (٩٣٥)، ويجوز أن يراد بالورود: جثوّهم حولها، وإن أريد الكفار خاصة، فالمعنى بين.

= «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

وورد من حديث ابن عمر وابن عباس.

أما حديث ابن عمر: فأخرجه البخاري (١١/ ٣٢٦) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم حديث (٥٧٢٣)، ومسلم (٧/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ نووي) كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي حديث (٢٢٠٩).

وابن ماجه (٢/ ١١٥٠) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء حديث (٣٤٧٢).

ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤٥) في العين، باب الغسل بالماء من الحمى، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٣١) رقم (٦٠٦٦ ـ ٦٠٦٧)، وأحمد (٢/ ٢١ ـ ٨٥)، والبيهقي (١/ ٢٢٥). والطبراني (١٢/ ٣٦٠) رقم (٣٣٣٤٢).

وأما حديث ابن عباس: قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم».

رواه البخاري (٦/ ٤٨٠) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة حديث (٣٢٦١).

وأحمد (١/ ٢٩١)، وابن حبان (١٣/ ٤٣١) رقم (٦٠٦٨)، والحاكم (٤/ ٢٠٠).

وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١١٨ ـ ١١٩) رقم (٢٧٣٢)، والطبراني (١٢/ ٢٢٩) رقم (١٢٩٦٧).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ انتهى.

٩٣٥ ـ روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وعائشة، وأبي ريحانة، وأبي أمامة، وعثمان بن عفان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ.

أما حديث أبي هريرة: فرواه ابن ماجه (٢/ ١١٤٩) كتاب الطب، باب الحمى حديث (٣٤٧٠)، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أبشر فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة».

وهو عند الترمذي (٤/ ٤١٢) كتاب الطب، باب ٣٥(٢٠٨٨) والحاكم (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٦١) رقم (٩٨٤٤)، وأبي نعيم في الحلية (٦/ ٨٦).

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.

وأما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٦٦) (٧٥٣٦) حدثنا محمد بن إبراهيم العسال قال: حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال: حدثنا عبيس بن ميمون قال: حدثني قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ المؤمن من النار».

ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عبيس بن ميمون تفرد به الشاذكوني.

وأما حديث عائشة: فأخرجه البزار (١/ ٣٦٤) رقم (٧٦٥ ـ كشف) حدثنا محمد بن موسى الواسطي ثنا عثمان بن مخلد ثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار».

ثم قال البزار: «لا نعلم أسنده عن هشيم إلا عثمان».

قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): «رواه البزار وإسناده حسن» اهـ. =

الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمى به الموجب؛ كقولهم: خلق الله، وضرب الأمير، أي: كان ورودهم واجباً على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على ألاَّ

= وأما حديث أبي ريحانة: قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى من فيح جهنم وهي نصيب المؤمن من النار».
أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ١٦١ ـ ١٦٢) رقم (٩٨٤٦)، قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه شهر بن حوشب وفيه كلام ووثقه جماعة» اهـ.
وأما حديث أبي أمامة: فرواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٢) حدثنا يزيد هو ابن هارون أنا محمد بن مطرف عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحمى من كيد جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار».
ورواه أيضاً في المسند (٥/ ٢٦٤). والطبراني في الكبير (٨/ ١١٠) رقم (٧٤٦٨). قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٨): «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلسطيني، ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف» اهـ.
وأما حديث عثمان: فرواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٨٧) ترجمة (٨٥٧) عبد الله بن عمران القرشي، قال: حدثناه الحسين بن إسحاق التستري قال: حدثنا علي بن بحر القطان قال: حدثنا فضل بن حماد الواسطي قال: حدثنا عبد الله بن عمران القرشي قال: حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ كل مؤمن في الدنيا من النار».
وقال: إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة» اهـ.
وأما حديث عبد الله بن مسعود: فرواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٢)، أخبرنا محمد بن الحسين الموصلي ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ثنا صالح بن أحمد الهروي ثنا أحمد بن راشد الهلالي ثنا حمد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، وحمى ليلة يكفر خطايا سنةٍ مُجَرَّمَةٍ».
وأما حديث سعد بن معاذ: فرواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٢) في ترجمة سعد بن معاذ قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي قال: أخبرنا أبو المتوكل؛ أن نبي الله ـ ﷺ ـ ذكر الحمى فقال: «من كانت به فهي حظه من النار، فسألها سعد بن معاذ ربه فلزمته، فلم تفارقه حتى فارق الدنيا» اهـ.
قال الحافظ: أخرجه البزار عن عائشة بهذا. وقال: تفرد برفعه عثمان بن مخلد عن هشيم بن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود عنها. وقال الدارقطني: عثمان لا بأس به، لكن خولف في رفع هذا الحديث، فرواه ببدل عن هشيم موقوفاً. قلت: وقد روي مرفوعاً من وجه آخر. أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من طريق أحمد بن رشد الهلالي عن حميد بن عبد الرحمن الروالي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم به. وزاد «وحمى ليلة تكفر خطايا سنة»، في الباب عن أبي هريرة عن ابن ماجه والحاكم، وعن أبي ريحانة عند الطبراني، وعن أبي أمامة عند أحمد. وعن عثمان عند العقيلي، وعن سعد بن معاذ عند ابن سعد في الطبقات، وعن أنس عند الطبراني بالأوسط، وكلها ضعيفة وهي بمعناه لا بلفظه. انتهى.

يكون غيره، قرئ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُمْ﴾، و«ننجي»، و«ينجي وينجى»: على ما لم يسم فاعله، إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر، وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: أنّ المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار، لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى: «ثم ننجي»: بفتح الثاء، أي: هناك، وقوله: ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾: دليل على أنّ المراد بالورود والجثوّ حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: مرتلات الألفاظ، ملخصات المعاني، مبينات المقاصد: إما محكمات أو متشابهات، قد تبعها البيان بالمحكمات، أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تحدّى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون حالاً مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]؛ لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به، وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، قرأ ابن كثير: (مُقاما): بالضم، وهو موضع الإقامة والمنزل، والباقون: بالفتح وهو موضع القيام، والمراد: المكان والموضع، والنديّ: المجلس ومجتمع القوم، وحيث يتندون[1]، والمعنى: أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك مبلغهم من العلم، قالوا: أيّ الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظًا من الدنيا حتى يجعل ذلك عياراً على الفضل والنقص، والرفعة والضعة، ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة، ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَكَمْ﴾: مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِّن﴾: تبيين لإبهامها، أي: كثيراً من القرون أهلكنا، وكان أهل عصر قرن لمن بعدهم؛ لأنهم يتقدمونهم، و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾: في محل النصب

(١) قوله «حيث يتندون» في الصحاح «ندوت» أي حضرت الندي. وانتديت: مثله. (ع)

صفة لكم؛ ألا ترى أنك لو تركت: (هم): لم يكن لك بدّ من نصب (أحسن): على الوصفية.

الأثاث: متاع البيت، وقيل: هو ماجد من الفرش، والخرثي: ما ليس منها؛ وأنشد الحسن بن علي الطوسي [من البسيط]:

تَقَادَمَ الْعَهْدُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ بِنَا ... دَهْراً وَصَارَ أَثَاثُ الْبَيْتِ خُرْثِيّا[1]

قرئ على خمسة أوجه ﴿وَرِءْيًا﴾ وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول، من رأيت. و(ريئا)، على القلب؛ كقولهم: راء في رأى، و(ريا)؛ على قلب الهمزة ياء والإدغام، أو من الريّ الذي هو النعمة والترفه، من قولهم: ريان من النعيم، و«ريا»: على حذف الهمزة رأساً، ووجهه أن يخفف المقلوب وهو «ريئا» بحذف همزته وإلقاء حركته على الياء الساكنة قبلها، و(زيا)، واشتقاقه من الزيّ وهو الجمع؛ لأن الزيّ محاسن مجموعة، والمعنى: أحسن من هؤلاء.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

أي: مدّ له الرحمن، يعني: أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، أو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أو ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، في معنى: الدعاء، بأن يمهله الله وينفس في مدّة حياته، في هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها، والآيتان ١/ ٨أ اعتراض بينهما، أي قالوا: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديّاً، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين، ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾: في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم، وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال، فحينئذٍ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكاناً وأضعف جنداً، لا خير مقاماً

---

(١) أثاث البيت: أمتعته ولوازمه: والخرثي كالكرسي: العتيق من ذلك، يقول: تقادم وتطاول بنا اللقاء من أم الوليد، أي: تباعد زمنه. فدهرا: تمييز. ويجوز أنه ظرف، أي: تباعد عهد اللقاء من محبوبتي زمناً طويلاً وصار متاع البيت عتيقاً قديماً. وفيه تحسر على عدم اللقاء.

وأحسن نديًا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.

والثاني: أن تتصل بما يليها، والمعنى: أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم، والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم، وبأن الألطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها، والمراد بالضلالة: ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه، ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها.

فإن قلت: حتى هذه ما هي؟

قلت: هي التي تحكي بعدها الجمل؛ ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾: في مقابلة ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والنديّ: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، والجند: هم الأنصار والأعوان.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَيَزِيدُ﴾: معطوف على موضع فليمدد؛ لأنه واقع موقع الخبر، تقديره: من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن[1]، ويزيد: أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه، ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: أعمال الآخرة كلها، وقيل: الصلوات، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أي هي ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: من مفاخرات الكفار، ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي: مرجعاً وعاقبة، أو منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مردّ:

وَهَلْ يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا[2]

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح أن يكون «وَيَزِيدُ» معطوفاً على «فَلْيَمْدُدْ» سواء كان دعاء أم خبراً بصورة الأمر؛ لأنه في موضع الخبر إنْ كانت «مَنْ» موصولة، أو في موضع الجواب إنْ كانت «مَنْ» شرطية. وعلى كِلاَ التقديرين فالجملة من قوله: «وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوا هُدًى» عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ، أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو «فَلْيَمْدُدْ»، و«ما» عطف عليه؛ لأنَّ المعطوف على الخبر خبر، والمعطوف على جملة الجزاء جزاء، وإذا كانت أداة الشرط اسماً لا ظرفاً تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره، أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة عليها». قلت: وقد ذكر أبو البقاء أيضاً كما ذكر الزمخشري. وقد يُجَابُ عَمَّا قَالاَه: بأنا نختار على هذا التقدير أن تكون «مَنْ» شرطية، قوله: «لا بد من ضمير يعود اسم الشرط غير الظرف» ممنوع؛ لأنَّ فيه خلافاً قدمت تحقيقه، وما يستدل؛ عليه في سورة البقرة، فقد يكون الزمخشري وأبو البقاء من القائلين: بأنه لا يشترط. انتهى. الدر المصون.

(٢) تقدم.

فإن قلت: كيف قيل خير ثواباً كأنّ لمفاخراتهم ثواباً، حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه؟ قلت: كأنه قيل: ثوابهم النار؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ[1]

وقوله [من الكامل]:

شَجْعَاء جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أُصُلاً إِذَا رَاحَ الْمَطِيُّ غِرَاثَا[2]

وقوله [من الوافر]:

. . . . . تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[3]

ثم بنى عليه خير ثواباً، وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له: عقابك النار.

فإن قلت: فما وجه التفضيل في الخير كأنّ لمفاخرهم شركاً فيه؟

قلت: هذا من وجيز كلامهم، يقولون: الصيف أحز من الشتاء، أي: أبلغ من الشتاء في برده.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها، استعملوا «أرأيت» في معنى: «أخبر»، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبر ـ أيضاً ـ بقصة هذا الكافر، واذكر حديثه عقيب حديث أولئك، ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ من قولهم: أطلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع[4] الثنية، قال جرير [من الكامل]:

---

(١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول فراجعه إن شئت اهـ.

(٢) الشجع: سرعة نقل القوائم. والشجعاء: السريعة السير. والجرة ـ بالكسر ـ: ما يجتره البعير من كرشه يمضغه. والذميل: نوع من السير. واللوك: المضغ. والأصل: جمع أصيل، وهو من العصر للغروب، والرواح: من الظهر إليه. والغراث: الجياع يصف ناقته بسرعة السير، وشبه السير عندها بجرتها، بجامع سرعة الحركة وانطباع الناقة واستلذاذها لكل. وجعلها تبرزه شيئاً فشيئاً كالجرة للمبالغة. وفيه دلالة على خلو بطنها من العلف إذا لاح، أي: إذا كان غيرها لا يجد قوة على السير، فالغرث: استعارة. ويجوز أن المعنى أنها سريعة في السير ولو كانت جائعة كغيرها من المطايا، فالغرث حقيقته.

(٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير §آية ١٠ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

(٤) قوله «وطلع الثنية» في الصحاح «طلع الجبل» بالكسر: علوته. (ع)

. . . . لاقَـيْـتُ مُـطَّـلَـعَ الْـجِـبَـالِ وُعُـورَا[(١)]

ويقولون: مرّ مطلعاً لذلك الأمر، أي: عالياً له مالكاً له، ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى: أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين: إما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب، فبأيهما توصل إلى ذلك؟ قرأ حمزة والكسائي: «ولدا»، وهو جمع ولد، كأسد في أسد، أو بمعنى: الولد كالعرب في العرب، وعن يحيى بن يعمر: «ولدا»: بالكسر، وقيل في العهد: كلمة الشهادة، وعن قتادة: هل له عمل صالح قدّمه فهو يرجو بذلك ما يقول؟ وعن الكلبي: هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك؟ عن الحسن ـ رحمه الله ـ: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاصي بن وائل، قال خباب بن الأرت: كان لي عليه دين فاقتضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حيًا ولا ميتاً ولا حين تبعث، قال: فإني إذا مت بعثت؟ قلت: نعم، قال: إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك (٩٣٦)، وقيل: صاغ له خباب حليًا فاقتضاه الأجر، فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، فأنا أقضيك ثم؛ فإني أوتى مالاً وولداً حينئذٍ، و﴿كَلَّآ﴾:

---

٩٣٦ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣) كتاب الإجارة، باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟ حديث (٢٢٧٥) ومسلم (٩/ ١٥١ ـ نووي) كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي ـ ﷺ ـ عن الروح حديث (٢٧٩٥)، والترمذي (٥/ ٣١٨) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة مريم حديث (٣١٦٢).
والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٥) كتاب التفسير حديث (١١٣٢٢)، والطبري في التفسير (٨/ ٣٧٥) رقم (٢٣٨٩٩)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٠٧).
قال الحافظ: متفق عليه من طريق مسروق عن خباب أتم منه.

---

(١) إنـي إذا مـضـر عـلـيّ تـحـدثـت ... لاقـيـت مـطـلـع الـجـبـال وعـورا

لجرير. ومضر: اسم قبيلة صرف للضرورة، ومطلع ـ بتشديد الطاء ـ: اسم مكان على صورة المفعول، من اطلع المشدد، وأصله: اطتلع، بتاء الافتعال، قلبت طاء وأدغمت فيها ما قبلها، وهو نصب على الظرفية. والوعور: جمع وعر، أي: صعب مفعول لاقيت، أو المفعول هو مطلع. ووعوراً: حال، لا سيما على رواية فتح واوه على أنه صيغة مبالغة، يقول: إذا تقولت على مضر ما لا أرتضيه. أو تكلمت في قتلي، وجدت في مطالع الجبال أشياء صعابا فأعجز عن الهرب. أو المعنى: أنه يقتحم الصعاب ولا يبالي بها ويهرب منهم. وعلى الحالية: لاقيت مطلع الجبال حال كونه أماكن صعبة، والمطلع متعدد لإضافته لمتعدد، وعلى فتح الواو فظاهر.
ينظر: ديوانه ص (٢٢٩)، ولسان العرب (طلع)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٧١، ٤/ ٤٣٠)، وأساس البلاغة (طلع)، وتاج العروس (طلع).

ردع وتنبيه على الخطأ، أي: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿سَنَكْتُبُ﴾: بسين التسويف، وهو كما قاله كتب من غير تأخير، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ . . . . . [1]

أي: تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجرّد ههنا لمعنى الوعيد، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ ٢/ ٨ب أي: نطوّل له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون، أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد، يقال: مده وأمده بمعنى؛ وتدل عليه قراءة عليّ بن أبي طالب: «ونمد له»: بالضم، وأكد ذلك بالمصدر؛ وذلك من فرط غضب الله، نعوذ به من التعرّض لما نستوجب به غضبه، ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه، والمعنى مسمى ما يقول، ومعنى: ﴿مَا يَقُولُ﴾، وهو المال والولد، يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولي فوق ما تقول، ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالاً وولداً، وبلغت به أشعبيته[2] أن تألى على ذلك في قوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾؛ لأنه جواب قسم مضمر، ومن يتأل على الله يكذبه، فيقول الله ـ عز

---

(١) رمتني عن قوس العدو وباعدت ... عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ... ولم تجدي من أن تقري بها بدا

لزائد بن صعصعة النقعسي، كانت له امرأة اسمها عبيدة فطمحت عليه وكانت أمها سرية، فعرض لها بذلك، يقول: رمتني بأمر قبيح كأنه نبلة صادرة عن قوس العدو، أو أبعدتني عنها بعد النبلة عن القوس: أي تسببت في ذلك وبالغت في بعد الرمي، و«زاد الله» جملة دعائية، ثم قال: إذا أظهرنا نسبنا يتبين أني لم تلدني لئيمة بخلافك، ولم تجدي مفراً ولا غنى من إقرارك بتلك القضية. ويجوز أن المعنى: أنه لا بد من إقرارك بأمك اللئيمة، وعلم مرجع الضمير من ذكر المقابلة وهو أمه، وهذا أدق في التبكيت. ويروى: به، أي: بذلك النسب. وفي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نوع من التشنيع والتوبيخ، كأنه عجب الناس أولا من حالها، ثم التفت يبكتها بلؤم أمها وأنها رقيقة.
ينظر: حاشية الأمير على المغني (١/ ٢٥)، وجواهر الأدب ص (٢٠٥) وشرح شذور الذهب ص (٤٤٠)، وشرح شواهد المغني ص (٨٩)، ومغني اللبيب ص (٢٦).

(٢) قوله «أشعبيته» في الصحاح «أشعب» اسم رجل كان طماعا. وفي المثل: أطمع من أشعب اهـ. ومنه: أخذت الأشعبية، بمعنى: خصلة أشعب، وهي الطمع. (ع)

وجل ـ: هب أنا أعطيناه ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فرداً غداً بلا مال ولا ولد؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٤]، فما يجدي عليه تمنيه وتأليه، ويحتمل أن هذا القول؛ إنما يقوله ما دام حيًا، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبته في صحيفة لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به، ﴿وَيَأْتِينَا﴾: على فقره ومسكنته، ﴿فَرْدًا﴾: من المال والولد، لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه، فيجتمع عليه الخطبان: تبعة قوله ووباله، وفقد المطموع فيه، فرداً على الوجه الأول: حال مقدرة؛ نحو: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأنه وغيره سواء في إتيانه فرداً حين يأتي، ثم يتفاوتون بعد ذلك.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

أي: ليتعززوا بآلهتهم؛ حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب، و﴿كَلَّا﴾: ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة، وقرأ ابن نهيك: (كلا)، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم؛ كقولك: زيداً مررت بغلامه، وفي محتسب ابن جني: «كلا» بفتح الكاف والتنوين، وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا، ولقائل أن يقول: إن صحت هذه الرواية، فهي كلا التي هي للردع، قلب الواقف عليها ألفها نوناً كما في قواريراً، والضمير في (سيكفرون): للآلهة، أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦]، أو للمشركين: أي: ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: في مقابلة: ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾، والمراد: ضدّ العز وهو الذل والهوان، أي: يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وأرادوه، كأنه قيل: ويكونون عليهم ذلاً، لا لهم عزًا أو يكونون عليهم عوناً، والضدّ: العون، يقال: من أضدادكم، أي: أعوانكم وكأن العون سمي ضدًا؛ لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه.

فإن قلت: لم وحد؟

قلت: وحد توحيده قوله ـ عليه السلام ـ: «وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (٩٣٧)، لاتفاق

---

٩٣٧ ـ تقدم. قال الحافظ: هذا طرف من حديث لعلي ـ رضي الله عنه، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد =

كلمتهم وأنهم كشيء واحد؛ لفرط تضامنهم وتوافقهم، ومعنى كون الآلهة عوناً عليهم: أنهم وقود النار وحصب جهنم؛ ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين؛ فإن المعنى: ويكونون عليهم ـ أي أعداءهم ـ ضدًا، أي: كفرة بهم، بعد أن كانوا يعبدونها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

الأز، والهز، والاستفزاز: أخوات، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم[1] ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً، والمراد تعجيب رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاويلهم، وملاحتهم، ومعاندتهم للرسل، واستهزاؤهم بالدين: من تماديهم في الغيّ وإفراطهم في العناد، وتصميمهم على الكفر، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشكّ عنه، وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسوّل لهم.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

عجلت عليه بكذا: إذا استعجلته منه، أي: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا، حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم، وتطهر الأرض بقطع دابرهم، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا إيام محصورة وأنفاس معدودة، كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان إذا قرأها بكى، وقال: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد: فراق أهلك، آخر العدد: دخول قبرك، وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها، فقال: إذا كانت

= وإسحاق والحاكم من طريق قيس بن عباد عن علي ـ رضي الله عنه ـ «أنه أخرج من قراب سيفه كتاباً عهد إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا فيه. وذكره. وفيه هذا»، وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رفعه قال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم. وهم يد على من سواهم ـ الحديث»، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبزار، والطبراني من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نحوه، وعن عبد الله بن عمر، أخرجه ابن حبان. وعن معقل ابن يسار أخرجه ابن ماجه. انتهى.

---

(١) قوله: «والمعنى خلينا بينهم وبينهم» هذا هو الموافق لمذهب المعتزلة. من أنه تعالى لا يفعل الشر. أما على مذهب أهل السنة من أنه تعالى يفعل الشر كالخير، فالمناسب: سلطناهم عليهم. (ع)

الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾

نصب ﴿يَوْمَ﴾: بمضمر، أي: يوم ﴿نَحْشُرُ﴾، ونسوق: نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف، أو اذكر يوم نحشر، ويجوز أن ينتصب بلا يملكون، ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه ٢/ ٩أ وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت (٩٣٨).

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. والورود: العطاش لأنّ من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد: المسير إلى الماء، قال [من الرجز]:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا ... كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا[1]

---

٩٣٨ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٧) في التفسير، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٧) رقم (٣٤٠١٤)، وابن جرير في التفسير (٨/ ٣٨٠) رقم (٢٣٩٢٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٦)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠٨)، وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٨) تفسير سورة مريم: «رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف» .اهـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبري، وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق بن النعمان بن سعد بن علي نحوه، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً. ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أيضا. انتهى.

---

(١) يخاطب ناقته. وردي: أمر من الورود، وتكريره للتوكيد. والورد: اسم مصدر منه أيضاً، أو اسم للماء المورود، أي: ردي الماء كورود قطاة صماء لا تسمع صوت القانص فلا تنفر عن الماء: والكدر ـ بالضم ـ نوع من القطا رمادي اللون. والكدرية: نسبة إليه، من نسبة الجزئي إلى كليه، وهذه الياء هي الفارقة بين اسم الجنس وواحده، كروم ورومي. وفيه تشبيه ناقته ضمنا بالقطاة في الخفة والسرعة. وصما والما: بالقصر، فإن رويا بالمد والسكون على أن الشعر من مشطور المنسرح الموقوف، فمحله حرف الألف.

ينظر: شواهد البحر (٦/ ٢١٧)، وروح المعاني (١٦/ ١٣٦)، الدر المصون (٤/ ٥٢٦).

فسمي به الواردون. وقرأ الحسن: يحشر المتقون، ويساق المجرمون.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

الواو في: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ إن جعل ضميراً[1] فهو للعباد، ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين؛ لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن تكون علامة للجمع، كالتي في: «أكلوني البراغيث»، والفاعل: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾؛ لأنه في معنى الجمع[2]، ومحل: (من اتخذ): رفع على البدل، أو على الفاعلية، ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف، أي: إلا شفاعة من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم، واتخاذ العهد: الاستظهار بالإيمان والعمل، وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً» ح قَالُوا: وَكَيْفَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «يَقُولُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَأَنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْداً تُوَفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» فَإِذَا قَالَ ذٰلِكَ طُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ، وَوُضِعَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ لَهُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدٌ، فَيَدْخُلُونَ

---

(١) قال محمود: «يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميراً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه تعسف من حيث أنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جمعا، ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ، ففيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك، وهو مستنكر عندهم لأنه إجمال بعد إيضاح. وذلك تعكيس في طريق البلاغة، وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال. والواو على إعرابه، وإن لم تكن عائدة على من إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له، فتنبه لهذا العقد؛ فإنه أروج من النقد [من الطويل]:

. . . . . وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه بعد، وكأنه قيل: لا يملك الشفاعة إلاَّ المتخذون عهداً. قال الشيخ: ولا ينبغي حَمْلُ القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً، وقد قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إنها لغة ضعيفة». قُلْتُ: قد قالوا ذلك في قوله تعالى: ﴿عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فلهذا الموضع بهما أسوة. ثم قال الشيخ: وأيضاً فالألف والواو والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلاَّ بصريح الجمع، وصريح التثنية أو العطف أما أن يأتي بلفظ مفرد، ويطلق على جمع أو مثنى، فيحتاج في إثبات مثل ذلك إلى نقل، وأما عود الضمائر مثناة أو مجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب، على أنه يمكن قياس هذه العَلاَمات على تلك الضمائر، ولكن الأحوط ألاَّ يقال إلاَّ بسماع. انتهى. الدر المصون.

الْجَنَّةَ، (٩٣٩) وقيل: كلمة الشهادة، أو يكون من: «عهد الأمير إلى فلان بكذا»: إذا أمره به، أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها؛ وتعضده مواضع في التنزيل: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنتَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾

قرئ: (إدّا): بالكسر والفتح، قال ابن خالويه: الإدّ والأدّ: العجب، وقيل: العظيم المنكر، والإدّة: الشدّة، وأدنى الأمر وآدني: أثقلني وعظم عليّ إذا، ﴿يكاد﴾: قراءة الكسائي ونافع بالياء، وقرئ: ﴿ينفطرن﴾[1]: الانفطار من فطره إذا شقه، والتفطر: من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه، وقرأ ابن مسعود: «ينصدعن»، أي: تهد هدّا، أو مهدودة، أو مفعول له، أي: لأنها تدّ.

فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟

قلت: فيه وجهان:

---

٩٣٩ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٣٩)؛ «غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً» اهـ.
والموقوف رواه الحاكم (٢/ ٣٧٧) في التفسير، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٩) رقم (٨٩١٨)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٠)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه. وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لأبي عبد الله الترمذي في نوادر الأصول.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي قال: روى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود ـ فذكره بتمامه، وروى ابن مردويه في تفسير الأحزاب من طريق عوف بن عبد الله عن رجل من بني حليم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «العهد أن تقول: اللهم فاطر السموات والأرض ـ الحديث أصغر مما ذكر» ورواه الحاكم من وجه آخر عن عون عن ابن ماجه، عن الأسود، عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال: الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال: فقلنا: فعلمنا يا أبا عبد الرحمن قال: فاقرؤوا: اللهم فاطر السموات والأرض ـ فذكره مختصرا، وفي الباب عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر في السادس والسبعين بعد المائة. انتهى.

---

(١) قوله: «وقرئ ينفطرن» يفيد أن القراءة المشهورة يتفطرن» بالتاء. (ع)

أحدهما: أن الله سبحانه يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض[1] والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوّه بها، لولا حلمي ووقاري، وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

والثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات: أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخرّ، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرّض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا، في ﴿أَن دَعَوْا﴾:

ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في منه، كقوله [من الطويل]:

عَلَىٰ حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِماً ... عَلَىٰ جُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمُ[2]

ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل، أي: هذا لأن دعوا، علل الخرور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد للرحمن، ومرفوعاً بأنه فاعل هدًّا، أي: هدها دعاء الولد للرحمن، وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسم غيره، من قبل أنّ أصول النعم وفروعها منه: خلق العالمين، وخلق لهم جميع ما معهم؛ كما قال بعضهم: فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولداً، فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن، هو من دعا بمعنى: سمى المتعدي إلى مفعولين، فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني؛ طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعي له ولداً، أو من دعا بمعنى: نسب، الذي مطاوعه ما في قوله

---

(١) قال محمود: «معناه: كدت أهدّ السموات وأفطر الأرض... إلخ» قال أحمد: ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم؛ وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عز وجل موصوفاً بصفات الكمال الواجبة له، أن جعلها تسبح بحمده. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها: أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه [من المتقارب]:

وفي كل شيءٍ له آية ... تدل على أنه واحد

فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها، إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق «فسبحان من قسم عباده، فجعل العباد، تستلذ فتسبح بتسبيح داود، يكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود».

(٢) تقدم.

ـ عليه السلام ـ: «مَنِ ٱدَّعىٰ إِلَىٰ غَيْرِ ٢/ ٩ ب مَوَالِيهِ» (٩٤٠)؛ وقول الشاعر [من البسيط]:

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لاَ نَدَّعِي لأَبٍ . . . . . .[1]

أي: لا ننتسب إليه.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

انبغي: مطاوع، «بغي»: إذا طلب، أي: ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً؛ لأنه محال غير داخل تحت الصحة، أما الولادة المعروفة: فلا مقال في استحالتها، وأما التبني: فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبني، وليس للقديم سبحانه جنس، تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيراً.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿مَن﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة، وقوعها بعد رب في قوله [من الرمل]:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً صَدْرَهُ . . . . . .[2]

---

٩٤٠ ـ تقدم في البقرة من حديث علي وهو غريب بهذا اللفظ؛ كما قال الزيلعي.
قال الحافظ: لم أره بلفظ «من ادعى» وإنما هو عند مسلم بلفظ «انتمى» أخرجه من حديث علي بن أبي طالب رفعه «من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ـ الحديث». انتهى.

---

(١) إنا بني نهشل لا ندعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
يكفيه إن نحن متنا أن يسر بنا ... وهو إذا ذكر الآباء يكفينا

لبشامة بن حزن النهشلي، ويقال: ادعى فلان في بني هاشم ولهم وإليهم، أي: انتسب إليهم وادعى عنهم إذا انتسب لغيرهم. وعدل عنهم يقول: إنا لا ننتسب لأب غير نهشل، وبني نهشل: نصب على الاختصاص يفيد المدح ولا هو يشرينا، أي يبيعنا ويستبدلنا بأبناء غيرنا، ثم قال: يكفيه منا سروره بنا إن متنا ولحقناه، حيث أوجبنا له ولنا الثناء الجميل من شجاعتنا وحسن خصالنا. و«إن» بمعنى «إذا» لأن الموت لا شك فيه. ويروى «أن يسب» بباء، ولعل معناه: لا مسبة له غير موتنا في القتال، يعني: إن كان ذلك مسبة وليس كذلك، ويمكن أن تعبيره بالكفاية ليفيد أنه مستغن عن المدح من جهة أبنائه عند التفاخر. وعند عد مآثر الآباء لا نحتاج لغيره، فننتسب له لنشرف بشرفه.
ينظر الشذور ٦٧٤، والحماسة ١/ ١٠٢، والمؤتلف ٦٦، والكامل ٦٥، وابن يعيش ٦/ ١٠١ ورغبة الآمال ٢/ ٦٦، والدر المصون ٢/ ٤٣.

(٢) رب من أنضجت غيظاً قلبه ... قد تمنى لي موتًا لم يطع
ويراني كالشجا في حلقه ... عسرًا مخرجه ما ينتزع
لم يضرني غير أن يحسدني ... فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع =

وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة: (آتِ الرحمنَ): على أصله قبل الإضافة، الإحصاء: الحصر والضبط، يعني: حصرهم بعلمه وأحاط بهم، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله، كانوا بين كفرين، أحدهما: القول بأن الرحمن يصح أن يكون والداً، والثاني: إشراك الذين زعموهم لله أولاداً في عبادته، كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم، فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات، ثم عقبه بهدم الكفر الآخر، والمعنى: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن، أي: يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً راجياً، كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم، لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وكلهم متقلبون في ملوكته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾

قرأ جناح بن حبيش: ﴿وِدًّا﴾: بالكسر، والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودّة ويزرعها لهم فيها من غير تودّد منهم ولا تعرّض للأسباب التي توجب الود ويكتسب بها

= ويحييني إذا لاقيته ... وإذا يخلو له لحمي رتع

لسويد بن أبي كاهل اليشكري، ويتعين أن «من» نكرة موصوفة، لأن رب لا تجر إلا النكرة، ونضج اللحم والعنب ونحوهما نضجا فهو نضيج وناضج: أدرك وبلغ أوانه واستوى، أي: رب شخص طبخت قلبه من حر غيظه منى ولم يطع، أي لا يستطاع تحمل سببه. والشجا: ما نشب في الحلق من عظم ونحوه، وعسراً إلخ: حال منه. ومخرجه أي خروجه مرفوع بالوصف، لم يضرني شيئاً من الضرر غير الحسد، من ضاره يضيره ضيراً إذا ضره، فهو يزقو أي: يصيح مثل صياح الضوع: وهو ذكر البوم، وكثر تشبيه العرض المطعون فيه باللحم المأكول على طريق التصريحية، ثم شبهه الشاعر بالمرعى المخصب ترتع فيه البهائم. أو شبه المغتاب ببهيمة في المرعى على طريق المكنية والرتع تخييل. ويحتمل استعارته للأكل الملائم للحم، ثم للطعن الملائم للعرض على طريق التصريح، أي: إذا يخلو له عرضي اغتاب كما يريد.

ينظر: خزانة الأدب ٦/٢٣/ ٢٥٢، والدرر ١/ ٣٠٢، والأغاني ١٣/ ٢٩٨ وشرح اختيارات المفضل ص ٩٠١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٤٠، والشعر والشعراء ١/ ٤٢٨، شرح الأشموني ٢/ ٧٠، وشرح شذور الذهب ص ١٧٠، وشرح المفصل ٤/ ١١، ومغني اللبيب ١/ ٣٢٨، الأمالي الشجرية ٢/ ١٦٩، معاني القرآن للأخفش ١/ ١٩٠، مجاز القرآن ٢/ ٤١، المفضليات ١٩٨، الهمع ١/ ٩٢، ٢/ ٢٦، الدر ١/ ١١٠.

الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك؛ وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة؛ إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانهم، والسين: إما لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ـ تعالى ـ ذلك إذا دجا الإسلام، وإما: أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم، وروي أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «يَا عَلِيُّ، قُلِ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْداً، وَاجْعَلْ لِي فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً» (٩٤١)؛ فأنزل الله هذه الآية، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: يحببهم الله ويحببهم إلى خلقه، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا جِبْرِيلُ، قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَناً فَأَحْبَبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الأَرْضِ» (٩٤٢)، وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

هذه خاتمة السورة ومقطعها، فكأنه قال: بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر؛ فإنما

---

٩٤١ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٤١).

رواه الثعلبي: أخبرنا عبد الخالق أنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصراف ببغداد ثنا أبو جعفر الحسن بن علي الفارسي ثنا إسحاق بن بشر الكوفي ثنا خالد بن يزيد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب: «يا علي، قل: اللهم اجعل لي عندك عهدا، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

وعزاه أيضاً لابن مردويه والطبراني في جزء جمعه من أحاديث حمزة الزيات، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٢)، وعزاه لابن مردويه والديلمي.

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والطبراني في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد، وهما متروكان. انتهى.

٩٤٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام حديث (٣٢٠٩) وأطرافه في (٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٨/ ٤٣٣ ـ نووي) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده حديث (٢٦٣٧)، والترمذي (٥/ ٣١٨) التفسير من سورة مريم حديث (٣١٦١)، وعبد الرزاق (١٠/ ٤٥٠) رقم (١٩٦٧٣)، وأحمد (٢/ ٤١٣، ٥١٤)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٨٥ ـ ٨٦) رقم (٣٦٤ ـ ٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٤١).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة بمعناه. انتهى.

أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي المبين، وسهلناه وفصلناه، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾: وتنذر، واللدّ: الشداد الخصومة بالباطل، الآخذون في كل لديد؛ أي: في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم، يريد أهل مكة.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: تخويف لهم وإنذار، وقرئ: ﴿تُحِسُّ﴾: من حسه إذا شعر به، ومنه: الحواس والمحسوسات، وقرأ حنظلة: ﴿تَسْمَعُ﴾: مضارع: أسمعت، والركز: الصوت الخفي، ومنه: ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ، أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بِعَدَدِ مَنْ كَذَّبَ زَكَرِيًّا وَصَدَّقَ بِهِ، وَيَحْيَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَعِيسَىٰ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَىٰ، وَهَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ» (٩٤٣).

---

٩٤٣ ـ تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.